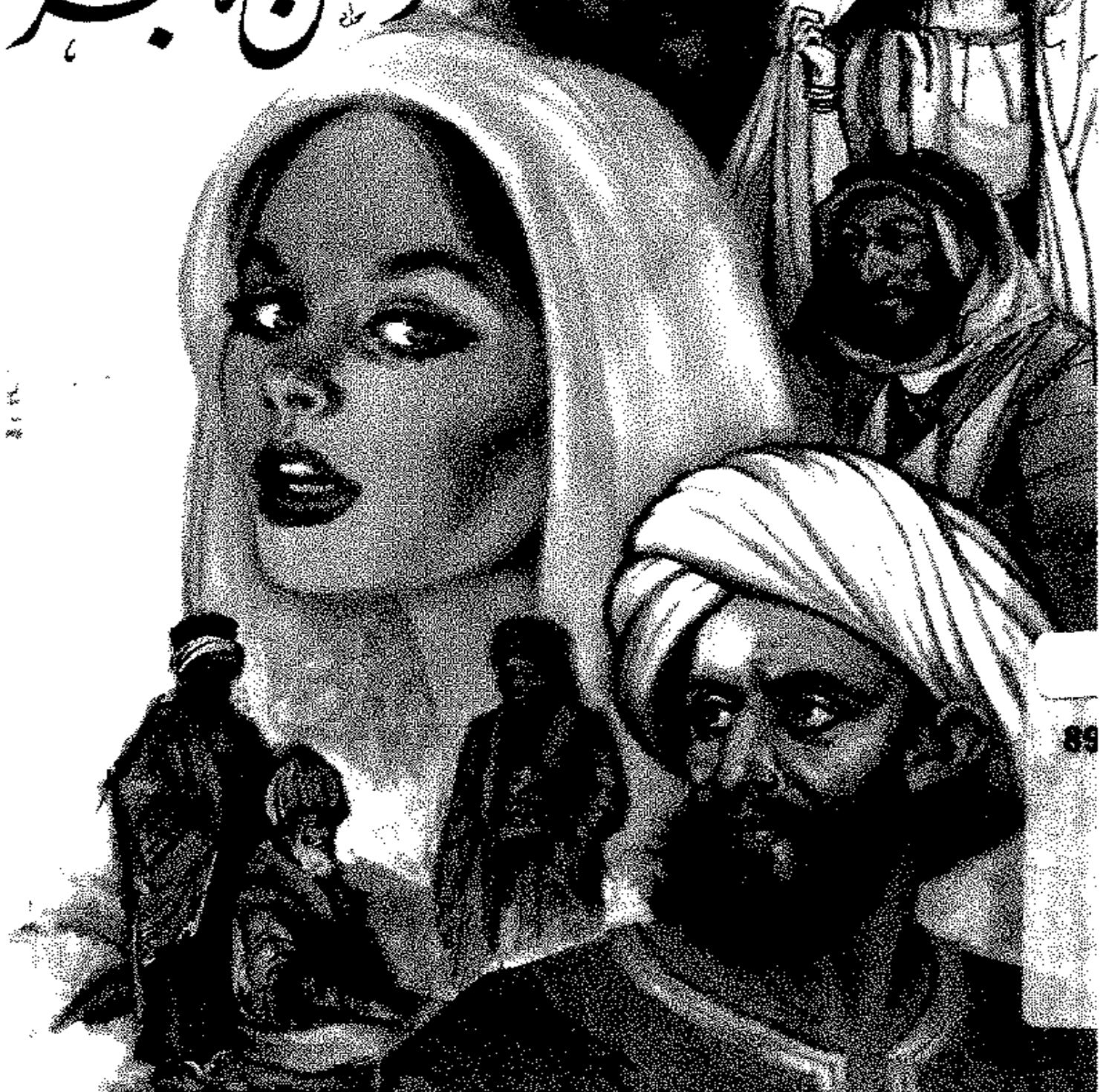


علی احمد باکشیہ



الوطن الاکبر





الوطن الأكبر

(مسرحية شعرية)

تأليف : علي أحمد باكثير

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

مكان الرواية : نجد مصر وسوريا بالأناضول .
زمان الرواية : أوائل القرن التاسع عشر .

أشخاص المسرحية :

- ١ — إبراهيم باشا : بطل المسرحية
- ٢ — عبد الله بن السعود: أمير الوهابيين
- ٣ — أمين بك : السكرتير
- ٤ — فكرى الخازن : من رجال إبراهيم باشا
- ٥ — أحمد راسم : القائد
- ٦ — غالية : أم سرحان امرأة نجدية مقاتلة
- ٧ — الأمير بشير الشهابي: أمير الجبل
- ٨ — الكولونل سيف : سليمان باشا الفرنساوى
- ٩ — الشيخ رفاعة : الطهطاوى من العلماء الأدباء
- ١٠ — صابر : جاسوس تركى
- ١١ — نعامة : بنت فهد النعمان وحبوبة سرحان
- ١٢ — زياد : ابن عم نعامة
- ١٣ — تامر : أخو نعامة
- ١٤ — سرحان : فارس نجدى جعله إبراهيم فى حرسه الخاص
- ١٥ — إسماعيل باشا : ابن أخى إبراهيم باشا .
- ١٦ — أحمد المنيكلى : من قواد إبراهيم
- ١٧ — خالد : ابن عم نعامة .
- ١٨ — رشيد باشا : قائد الجيش التركى

المنظر الأول

(في معسكر إبراهيم باشا على مقربة من (الدرعية)
عاصمة نجد بعد أن فتحها إبراهيم وانتصر على الوهابيين
الانتصار النهائي — يرى إبراهيم في خيمته قاعدا على
أريكة مفروشة باثمنل عليها وسائد ، وجلس أمامه على
مقاعد صغيرة بضعة أشخاص من رجاله ، فيهم أمين بك
السكرتير وفكرى الخازن وأحمد راسم القائد ، وعلى
باب الخيمة جنديان شاهران سيفيهما) .

إبراهيم : (ينظر في ساعة كبيرة أخرجها من جيبه) .

هل أخطأ ظنى في ابن سعود ؟

لم يجئنا بعد وقد حل ميعساده .

إنه شهيم ما أحسبه إلا صادقا وعده .

أحمد راسم : إني قد نصحتك يا مولاي بأن لا تفلته من يدك .

ما أحسبه عائدا للحبس مطيعا ، إذا

كان في وسعه أن يذمر أصحابه

للوغى ويلم شتات رجاله .

أمين : ماذا في استطاعته أن يفعل يا مولاي . .

وقد دمرنا الدرعية .

فكرى : لكن فى استطاعته أن يكلفنا

أرواحا وأموالا أخرى . إنهم

قوم لا يخافون الموت يا مولاي .

إبراهيم : أتخافون الموت أنتم بعد ؟ ألم تتلقوا

عنهم حب الموت وآى البطولة ؟

والله لقد علمتني نجد كيف الصبر

على الأهوال تشيب لها الأطفال .

أحمد راسم : لن نغدو مثلهم الدهر يا مولاي ،

ولولا نظم الحرب التى يجهلون لما

بقى اليوم من جندنا واحد يتنفس .

إبراهيم : آه من لى بجيش يحب الموت كأبناء نجد

ولكن يدرى النظام ، به أفتح الدنيا

أضع الدنيا كلها تحت أقدام مصر .

(ينظر فى ساعته ثانيا)

عجبا لم يجيء بعد عبد الله وقد حانت الثانية .

ما أخره يا ترى ؟

أحمد راسم : ما أخره إلا الغدر يا مولاي ،

ابتغاء إعادتها جذعة .

إبراهيم : كلكم يجهل ابن سعود ولا يدرى كنه

أنا أدرى به منكم .. ليس الغدر أخشى من

رجل مثل عبد الله . ولكننى أخشى

أن ينطقه يأسه : بيدى أنا لا بيدى إبراهيم .

فكرى : أتخاف عليه انتحارا يا مولاي ؟ إذا

تكفى شره .

إبراهيم : أنسىتم ما أمر السلطان بإرساله للآستانة ؟

فكرى : سوف يعلم من سيدى الوالى أنه غال نفسه .

إبراهيم : لن يرضى ذلك منا وقد جاءه أننا

قد قبضنا عليه أسيرا .

وسيحبسنا أننا أطلقنا سبيله .

فكرى : ما شأن السلطان فى هذا ؟ حسبه منا

أنا قد كفينا شر عدوه .

إبراهيم : (يتنهده)

ما شأن السلطان فى هذا ؟ أو اه !

أذكر دائما أن مصر العظيمة لما نزل

تبعنا للسلطان التركى الهزىل .

هذا حس كوكبة قادمة .

(ينهض ويشرف من كوة فى الخيمة)

ذاك ابن سعود أتى .. لله أبوه !

أمين : (يشرف من كوة أخرى)

أجل هو .. يا عجبا .. هو عينه .

إبراهيم : انطلق يا راسم فاستقبله .

(ينهض راسم ويخرج من الخيمة)

- إبراهيم : قد قلت لكم إن عبد الله لشهم وفي .
حمدا لك يا ربى . أرضيت ضميرى !
ولن يجد السلطان على سبيلا .
(يعود راسم ويدخل معه عبد الله بن سعود ووراءه ستة
من خاصة رجاله بملابسهم النجدية وهم شاكو
السلاح) .
- عبد الله : السلام عليكم .
- إبراهيم : (يتقدم فرحا ليستقبله) وعليكم السلام .
أهلا يا أخى . أهلا بك يا بطل الصحراء .
- عبد الله : (يصافح إبراهيم)
شكرا لك يا سيدى .. أنت أنت البطل .
- إبراهيم : (يقصد جهة الأريكة ويده فى يد عبد الله)
استرح يا عبد الله تفضل .
(يقعد ويقعد عبد الله بجانبه بينا الآخرون وقوف) .
- عبد الله : على استأخرت قليلا عن موعدى .. رغبت أسمى
أن ترانى فى بيتها فذهبت إليها قياما
بطاعتها ، فاقبل عذرى يا إبراهيم .
- إبراهيم : لا بأس أنا بعد .. حسبى أنك لم تخلف وعدك .
- عبد الله : ماذا ؟ هل خالطك الشك فى أمرى ؟
- إبراهيم : لما استبطأتك دب إلى الشك ولكن
سرعان ما رده حسن ظنى فىك .

- عبد الله : عهدنا لا نخل به حتى لو كان به
قطع أعناقنا يا إبراهيم .
- إبراهيم : تلك شنشنة فيكم يا بني قحطان .
ثم ماذا أخشى منك وقصد لاح لي
من شمائلك الغر ما أغواني بالقرب منك .
(يلتفت إلى رجاله)
اذهبوا خارجا واتركوني هنا وأخى .
- إبراهيم : (لرجاله) اذهبوا أنتم معهم ومروا أن تعد لنا .
ها نحن أولاء هنا وحدنا فتحدث كما شئت .
- عبد الله : ما عسى أن يحدث مغلوب غالبه ؟
- إبراهيم : دعك من هذا .. كما يتحدث صنو إلى صنوه
- عبد الله : قد يصح مقالك هذا ولكنى لا أزال
أمثل شعبا يقاتله ظلمسا شعسبك .
- إبراهيم : لكن القتال انتهى الآن ..
- عبد الله : لا .. لن تنتهى الحرب بين الباطل والحق .
ما دام فى الدنيا مبطل ومحق .
- إبراهيم : أيسوءك عبد الله انتصار الحق على الباطل ؟
- عبد الله : كلا بل أن يغلب الباطل الحق .
- إبراهيم : أينما الباغى أنا أم أنت ؟
- عبد الله : قد يكون الجواب شديدا عليك .
هو من جاء من أرض خصيبة

- ليغير على واد غير ذى زرع .
- إبراهيم : ما أغرنا على أرضكم طمعا فيها .. إن في أرضنا من فضل الله لما يغنى عنها .
- عبد الله : ذلك أعظم إثما وأكبر عدوانا .
- إبراهيم : بل لنطفىء نار الفتنة في نجد ، ونطيع خليفة دين الله .
- عبد الله : عجا .. نور التوحيد تعدونه نار فتنة ؟
- أستحال المعروف عندكم منكرا
والمنكر معروفا ؟
- إبراهيم : إن المسلمين جميعا يعدونكم خارجين ، ويرون لزاما أن ينقذوا الحرمين الشريفين منكم . وقد تم ذلك بحمد الله على يدينا .
- عبد الله : حقا لا يحمد إلا الله على البلوى .
- ماذا أدرى المسلمين بنا إلا ما بث عدو الله خليفتم هذا عنا
- خوفا أن يرجع هذا الأمر إلى أهله ؟
- هل دعوناهم إلا لله وأن لا رب سواه ؟
- هل نقمنا من هؤلاء الترك سوى أنهم قتلوا لغة القرآن وأحيوا رطانتهم ؟
- أانتصارا لهذا جئت تقاتلنا يا إبراهيم ؟
- إبراهيم : لكن الخلافة فيهم ، وطاعة أمر الخليفة

فرض على المسلمين .

عبد الله : كونها فيهم عنوان لإفلاس المسلمين .

أو ما في سراة بني الضاد من هو أهل لها
حتى يتولاها هذا التركي الدخيل ؟
أوليس من العار أن يتلقى أبناء الحرمين
وأبناء الرافدين معارفهم بلسان الترك ؟
والله لكن دام هذا الأمر لتنقلين

بلاد العرب وما فيها إلى طمطماني يرطن .

إبراهيم : كلا .. لا تخف هذا يا عبد الله

ما للسان الذي نزل الفرقان به أن يحوه
كل أهل الأرض ولو كان بعض لبعض ظهيرا .

عبد الله : ذاك وعد الله لنا بخلود الذكر ، ولكن

أين مساعينا والقيام بواجبنا في هذا السبيل ؟
لن يعفينا ألبتة هذا الوعد من التبعة . (يتنهد)

لعنات الله على أبناء الضاد يقتل
بعضهم بعضا ليكونوا للأتراك عبيدا .

إبراهيم : أإلى هذا الحد أنت شبح يا عبد الله

أتلعن قومك ؟

عبد الله : لم ألعنهم لكن لعنوا هم أنفسهم .

أشبح أنا ؟ لا .. بل وقيد الجوائح

يا صاحبي مأكول الشراسيف .

ماذا تبغى أن أصنع من بعد هذا الذى
لو به سمعت أذن أو حلمت به فى الكرى
لأسيت . فكيف وقد شهدته — واأسفاه — عيني
هذى مصر العربية تغزو شقيقتها نجدا
لتكون وإياها نقلا لزعانفة الترك من
كل قدم جهول لا يدري من أمر سياسته
شيئا ، ودع عنك سياسة غيره .

يبتاع الولاية بالثمن العالى من دولته
كيما يتقاضى أضعاف أضعافه
من دمء الشعب الذى ولته عليه .
فإذا امتسلأت كرشه منها ولسى عنها
بعد ما عاث فيها ليخلفه قدم آخسر .
إبراهيم : مهلا يا عبد الله فما زدتنى بالذى قلته علما .
لو تعلم يا ابن سعود ما أنا طاو عليه العزم
لقرت عينك وانزاح هم قؤادك .

والذى نفس إبراهيم بقبضته ما جئنا
بلاد الحجاز ونجد لنخضعها للترك ، ولكن
لنعتقها ونحرر سائر أوطسان الضاد منهم
ونبنيها دولة شما تعيد لنا
ذلك المجد العربى القديم .

عبد الله : أصحيح هذا الذى قلته يا إبراهيم ؟

- إبراهيم : مثلما أننى أنطق .
- عبد الله : هل هذا أيضا عزم أيبك ؟
- إبراهيم : لا أبيع لنفسى الجزم بشيء كهذا .
فليس لدى والدى عنه فكر مبین .
لكن مطامعه ومساعيه ستؤدى
إلى هذا فى النهاية .
- وسأعمل جهدى على السير فى هذى الخطة .
- عبد الله : فعلام إذن ما قاتلتم إخوانا لكم
يطلبون الذى تطلبون وينوون ما تنوون ؟
أوما كان خيرا لنا ولغايتنا لو كنا اتحدنا
على أن نخلع عنا ذاك النير البغيض ؟
- إبراهيم : ليت ذلك كان بإمكاننا يا عبد الله
إذن لكفينا شر قتال أخ لأخيه .
لكن الشعون قضت أن لا تعتق العرب من
ذها العانى ، إلا بعد أن تروت الأرض من
دمها القانى .
- وقفنا المقادير موقف خصمين يقتتلان
فيأسى كلانا لما يلقاه الآخر من بطشه .
وينال كلانا من فوز صاحبه حظه .
ولعل الله قضى بالنصر لأجدرنا
بالنهوض لهذا الشأن العظیم .

عبد الله : (يطرق قليلا ثم يرفع رأسه)
حقا إن مصر لأقدر منا على الاضطلاع
بهذا العبء الثقيل .

إننا لم نألك إبراهيم قتالا ، ولكن
لعل الله اختارك كيما تقوم بهذا الأمر .
فلياركك مولاي .. ولينظر للنيل
ولينسأ في أيامك حتى تجمع شمل العرب
على دولة في وادى النيل فتية ،
يعتز بها الإسلام وتحيا بها الأمة العربية .

إبراهيم : شكرا يا عبد الله .. ولكن أليس ترى
أنى لست من أصل عربى ؟

عبد الله : وما قيمة الأصل العربى إذا فقد الروح العربية ؟

إن لم يك إبراهيم الذى يبنى
دولة العرب العظمى عربيا ، فيا
ليت شعرى بعد من العربى ؟
إن عدنان من نسل إسماعيل فمن ذا يقول
بأن قضاة أعرف فى العربية من
مضر وربيعة ؟

أيا عربى يخون العروبة فهسى براء
منه لو كان من كندة أو عبد مناف .

(يدخل الخادم بالقهوة العربية فى إبريق فضى لامع ،

ويقدم كوين فيتناول إبراهيم أحدهما ويقدمه لعبد الله
ويأخذ الآخر لنفسه .

- إبراهيم : والآن فماذا قر عليه عزمك يا ابن سعود ؟
أقبلت شروط الصلح التي قلتها لك أمس ؟
عبد الله : نعم يا إبراهيم قبلت ؟ ولكن لي مطلباً عندك .
إبراهيم : قل ما مطلبك ؟
عبد الله : أن تعفو عن كل الأسرى وتسرحهم .
إبراهيم : قد عفوت عن الكل ..
عبد الله : أحسنت أحسنت ..
إبراهيم : إلا عن تلك الأفعى .. غالية .
عبد الله : لا تستثنيها يا إبراهيم .
إبراهيم : إنها خطر يا عبد الله عظيم ،
لا آمنها أن تحض الرجال
على فتنة عمياء جديدة .
عبد الله : إنما قاتلتكم على أنكم أتراك . ولو
تدرى أنكم ستثورون يوماً عليهم .
ليجمع شتات العرب لانضمت إليكم .
هي موتورة منهم . إنهم قتلوا بعلمها
في المدينة ظلماً وعدواناً .
هل يأذن لي سيدي أن أصير إليها
لأطلقها بيدي ، وأسر إليها بما

قلته لي ؟ فهي على الأسرار أمينة

إبراهيم : إن أنت وثقت بها فافعل .

(يصفق بكفيه فيدخل الغلام)

أذهب فادع لي أحمد راسم .

الغلام : طاعة يا مولاي . (يخرج) .

أحمد راسم : (يدخل) مولاي .

إبراهيم : أذهب والأمير إلى دار الأسرى ليسرحهم بيده .

أحمد راسم : والأسيرة يا مولاي ؟

إبراهيم : (يتسهم) والأسيرة أيضا يا راسم .

أحمد راسم : سمعا يا مولاي .

(يخرج ومعه عبد الله) .

إبراهيم : (يطل من كوة الخيمة) .

أترى الأيام تحقق هذا الحلم الجميل ؟

مصر والشام ونجد والحرمان الشريفان

والرافدان وأقصى الغرب وأدناه واليمن

شعب واحد يتكلم باللغة الواحدة ،

ويسير إلى هدف واحد ؟

أبشرى أبشرى .. ستكونين يا مصر

فخر الشرق وحاضرة الأمم العربية .

إن الوطن العربي الأكبر يتشاءب اليوم

كي يستيقظ من نومه الكهفي الطويل .

أتراه يقوم على ساعدي فينزلني التاريخ
مكاننا ما ناله قبلي هُرون الرشيد ؟
لست من أصل عربي ، وما قيمة الأصل العربي
إذا فقد الروح العربية ؟
إن عدنان من نسل إسماعيل ، فمن ذا يقول
بأن قضاة أعرق في العربية من
مضر وربيعة ؟

(يدخل أمين بك السكرتير يحمل في يده كتابا) .

ما تحمل لي ؟ أكتابا من الوالي يا أمين ؟

أمين بك : نعم يا مولاي وفي طيه مرسوم من السلطان .
إبراهيم : ماذا يعني السلطان الأحق ؟ أحسبه
يستعجلني في إرسال عبد الله إليه .

أمين بك : لم يعدّ الواقع ظنك مولاي .

إبراهيم : بم يهتم هذا الأحق إلا بشيء كهذا .

ليشفي بالانتقام غليل الحقد الآكل في صدره ؟

مسكين عبد الله .. سنلقيه للوحوش .

هذا العربي النبيل سيغدو بين أناس

لا يعرفون الرحمة بالكرمساء إذا

ذلوا ، والشهامة والأريحية منهم براء .

(يعود عبد الله وأحمد راسم ومعهم غالية وهي امرأة

نصف قوية البنية مديدة القامة) .

أهلا .. هل أطلقت الأسرى يا عبسء الله ؟
عبد الله : أجل ولك الفضل يا مولاي ، فدعنى أقبل يدك
(يمد يده إلى إبراهيم) .

إبراهيم : كلا .. لا تفعل هذا . أنت أنحى يا عبد الله
ولست بمولاك .

(يلتفت إلى غالية) .

والليثة أطلقتها أيضا ودخلت بها
عندى . أفما تخشاها أن تنقض علفى ؟
عبد الله : لم تأت الليثة إلا لتشكر فضل الليث
ولا خوف منها فقد فل أنيابها جودك .

غالية : مولاي لأنت اليوم أحب الناس إلى
وأعظمهم قدرا عندى بعد أن كنت لى
أمس أبغض من دب فوق الأرض .
فليسدد خطاك الله وترعك عيناه ،
ختى تم على يدك الوحدة العظمى .

إبراهيم : شكرا شكرا .. هيه يا غالية ..
يا أيتها الليثة العاربة .

لم أذقت المر جيوشى وجندلت أشباله
وأطلت جلادى وضاعفت لياليه .
غالية : مولاي أتذكر منى أن ذدت عن نجد الغالية ،
ودفعت العدا عن حماى وعن آليه ؟
ولو أن الذى فى بالك مر على باليه ،

- لحطمت الظُّبَى وسألت لك الخير والعافية .
- إبراهيم : كلا لا أنكر هذا منك .. ولكننى بك معجب .
لوددت لو أنك كنت لأبنائى أما .
- عبد الله : (يضحك) خذها يا إبراهيم إذا شئت فهى خلية .
- إبراهيم : لا .. حتى لا أرى وجهها .
- عبد الله : ارفعى عن وجهك هذا البرقع يا غالية .
- غالية : يكفى يا عبد الله مزاحا .
- عبد الله : تميطن هذا البرقع أو لأميطنه عنك .
- غالية : أعفنى يا مولاي من مزح عبد الله .
- عبد الله : لا .. لا تعفها يا إبراهيم .
- إبراهيم : (مبتسما) نفسى لا تطوع لى إعفاءك يا غالية .
- غالية : أما إذ أمرت فسمعا يا مولاي وطاعة
(ترفع البرقع عن وجهها) .
- إبراهيم : ما أغناك عن تقلد السيف
وعندك هذا الحسن الغنى .
- عبد الله : وهاتان العينان الغازيتان .
- إبراهيم : الآن فهمت السر ..
- غالية : أى سر يا مولاي .
- إبراهيم : لماذا يستعذب القوم الموت حين يرونك قدامهم ؟
- غالية : ذاك يا مولاي لأن الشجاع يبيع الشجاع .
- إبراهيم : كلا . بل لأن الجمال يحيل الجبان شجاعا .

عبد الله : ما رأيك يا سيدى . أعجبتك البضاعة ؟
إبراهيم : أعجبتنى حقاً .. ولكنها .. غالية .
عبد الله : من يخطب حسناء لم يغلها مهر يا إبراهيم .
إبراهيم : لكن رضى الحسناء ضرورى يا عبد الله .
عبد الله : هى راضية لا ريب وأية حسناء لا
ترضى بك بعلا ؟

هى صامته والصمات دليل الرضى .
فيم لا ترضى ؟ ستكون مليكة مصر ،
وبالتالى إمبراطورة للعرب .

غالية : قدك يا عبد الله مزاحا وسخرا لى .
(لإبراهيم) لم أعد يا مولاي صالحة لفتى مثلك .
إنى قد كبرت وقد ونحط الشيب فى شعرى .
ولدى ابن وابنتان وزوج أقسمت أن
أرعى ذكراه فلا أتزوج من بعده .
لو رأيت حليلة يا مولاي لكنت جديرة
أن تتزوج منها ، فقد كانت عذراء
تنوف على جمالا وإقداما وبسالة .
ولعل أبالك تحدث عنها إليك فقد
كان شاهدها فى سياق الموت لجرح عميق
أصيبت به فى غمار الحرب مكان القلب
برّذ الله مضجعا . كانت ابنة صدق يا

- مولاي ، وكانت مثالا للمرأة العربية .
إبراهيم : حقا فحدثني عنها والدي بأمر عجب .
(تجهش غالية بالبكاء) .
هل تبكين يا غالية ؟
غالية : ما بكيت على أحد ما بكيت عليها يا
مولاي ، لقد كانت ملكا في صورة إنسان .
عبد الله : (متأثرا) رحم الله مضجعها إن نجدا لم تنجب
درة مثلها منذ أيام الخنساء .
ما توالت هزائمنا إلا بعدها .. إنها
كانت نجم نجد .. فلما هوى ذهب ربح نجد .
إبراهيم : خفض يا عبد الله عليك فسوف ترى
نجد منا كل خير .
سيظل بنوك هنا سعداء كما كانوا
هائنين بأموالهم ومبائهم .
أما أبناء أبيك فسوف يقيمون في
طيبة الغراء وأجرى عليهم ما يكفيهم من الأرزاق
غالية : والأمير .. أمرسه أنت بعد إلى السلطان ؟
ألا تبقى هنا بين أهليه يا مولاي ؟
إبراهيم : لوددت ورب الكعبة لو نستطيع
إجابة ما تطلبون . ولكن السلطان
يلح علينا بإرساله إلحاحا شديدا .

لكنى سأكتب للسلطان بأن لا يعامله
إلا بالخير وسوف يؤكد هذا الرجاء
أبى بكتاب منه فلا تقلقوا واطمئنوا .

عبد الله : إن ضمنت نجاحى أسافر طيبة نفسى يا إبراهيم .

إبراهيم : لا أضمن ما لا قدرة لى يا عبد الله عليه .

ولكنى أحسب السلطان سيقبل رجوانا
ويعف عن التنكيل بخصم ألقى إليه السلم .

غالية : لا تسافر إذن يا أميرى فإن الأتراك لا

ريب ييغون رأسك .

(لإبراهيم) إن تكن صادقا فى مساعيك يا مولاي ،

فقيم تطيعون هذا الدخيل الضعيف الذى

تدعى أنه سلطان الإسلام والمسلمين ،

وليس له قوة إلا بجنود أبيك ؟

إبراهيم : نحن مضطرون لطاعته اليوم حتى

يشتد ساعدنا وتم قوانا يا أختاه ،

وإلا أحبط أعمالنا فى مصر وفى غيرها

قبل أن نستوثق من نجاحنا فى الوقوف أمامه .

عبد الله : إني قد وعدتك وعدا وما كان لى

أن أرجع فيه . ولو عزم السلطان

على أن يقطع رأسى وأوصالى

فأناشدك الله إلا ما عجلت بتسفيرى .

لا أطيق اللبث هنا . لا أطيق الوقوف على
أطلال ديارى وآثار سلطاني الذهب .
(يطفر الدمع من عيني عبد الله) .

إبراهيم : ما مثلك من يبكى .. هون يا عبد الله عليك .
عبد الله : لو لم أعبرك أخا ما بكيت لديك .

إنها دمعة المحزون الصابر محمد في
حضرة الأعداء ، وتهمر في حضرة الأصدقاء .
وإنسى بعد لراض كل الرضى بقضاء الله .

إبراهيم : (متأثرا) إن أردت السير يا عبد الله
على اسم الله . وسوف ترى في مصر أبى

وترى كل بر منه وإكرام وحفاوة .
عبد الله : (ينهض) سأودع أهلى وأولادى — أوصيك بهم
خيرا يا إبراهيم . وأوصيك بالناس في نجد
خيرا .

(بهم بعناق إبراهيم) .

الوداع أخى ..

إبراهيم : لا تودعنى الآن . إني آت لتشييعك .

عبد الله : شكرا يا إبراهيم لحسن صنيعةك .

(يخرج عبد الله وتتبعه غالية وهى تبكى ، ويقف
إبراهيم متأثرا يغالب دمعته في عينيه ورجاله
أمامه خاشعون) .

(ستار)

المنظر الثاني

(في مصر : في قصر إبراهيم باشا بالجيزة — في قاعة الاستقبال قاعة كبيرة مستديرة على جدرانها نقوش فنية ، وكلها مفروش بالسجاد الثمين — تمتد على جوانبها أرائك مفروشة بالخمél الأخضر وفوقها وسائد مبطنة بالحرير — للقاعة بابان أحدهما في نهاية الصدر للمسرح من جهة اليمين وهو الباب الذي يدخل منه الضيوف من الخارج ، وأما الثاني فعلى جدار المسرح الأيمن وهو يؤدي إلى المصلى ودار الضيوف النازلين على القصر ، وبين البابين خزانة صغيرة بديعة للكتب) .
(يرى إبراهيم باشا واقفا قرب الباب الخارجى لاستقبال الأمير بشير الشهابى أمير لبنان — يدخل الأمير بشير) .

بشير : السلام على مولاي الأمير .
إبراهيم : (يضافحه)
وعليك السلام .
أهلا بأمير الجبل .

- بشير : ياأمير الطريد المعزول يا مولاي .
- إبراهيم : أنت معزول يا بشير ولكن لست طريدا .
بوادي النيل السعيد إيواء مثلك .
- بشير : حقا . كادت مصر تنسيني بلدى ما
بالغت في إكرامى والحفاوة لى .
إنى عاجز عن شكر أيادى أيبك العظيم
وشكرك يا مولاي .
- إبراهيم : لم تفعل سوى بعد ما أنت أهل له يا بشير .
(يقصدان فى صدر القاعة على الجانب الأيسر من
المرح) .
- بشير : والله لقد ضمدتم جراحي وأشعرتمنى
أن لنا أبناء العرب بمصر ملاذا
من الجور التركى .
- إبراهيم : لكن كلنا فى معاناة هذا الجور سواء .
- بشير : أو قل مصر أسوأ حالا منا لقوتها
بالقياس إلى ضعفنا .. أوليس عجبا أن
تبقي مصر تابعة للترك ولا تُخشى
دولة الترك إلا بقوة مصر .
- قد يهون القيد على المستضعف أما القوى فلا .
- إبراهيم : لا ، ولا سيما إذ يفرض هذا القيد ضعيف أحقق مستكبر .
- بشير : ليت شعرى متى تتحرر أقطارنا من هذا النير الثقيل

(يتنهده) ينفيني من أرض آباءى هؤلاء العلوج .

: ستعود إليها رغم آنافهم .

إبراهيم

: سأعود إليها ذليلا باستشفاع أبيك لهم .

بشير

لن يطول مقامك فيها على ذل طاعتهم ،

حتى نستخلصها منهم ونشردهم

عن حدود بلاد العرب . . .

إن مصرا والشام صنوان يكمل بعضهما

بعضا ، لا يستغنى واحد منهما عن أخيه

من عهد الفراعنة السابقين ، وفي

عهدى الفاطميين والأيوبيين .

: هذا ما حدثنيه مرارا أبوك العظيم .

بشير

: بل عندي أكثر من هذا يا بشير .

إبراهيم

إن هذى الشعوب التى تتكلم بالعربية

من أقصى السودان إلى طوروس ، ومن

بحر الظلمات إلى البحر العربى وشط العراق ،

لَين حقها أن لا تبقى هكذا متناكرة

تحت هذا الحكم المغولى المهلدام .

لا بد لها من يوم تعرف فيه

سؤدها المسلوب وتجمع فيه الأمر .

فويل يومئذ للطفساء المستعبديين

إننا لن نغلب من قلة يا بشير ،

لا ننقص عن أمة الخمسا عددا
أو شعب فرنسا أو الأمة الإنجليزية ،
ولدينا من روح الإسلام ومن مثله العليا
ما يجعلنا قوة لا تقوم لها قوة في الأرض .

بشير : ليتكم ما قضيتم على الوهابيين بنجد ،
إذن لعسوا أن يكونوا عوناً لكم في هذا الأمر
فقد كانوا شوكة أخرى في جنب الأتراك
فانتقشوها بكم .

إبراهيم : سلطوكم عليهم ليقتضوا عليهم ثم عليكم .
ما قلت صحيح . ولكننا كنا في ظروف قاهرة
حملتنا على إرضاء السلطان من جهة ،
وعلى تحقيق سلامة مصر من جهة أخرى .
فضلا عن أن ليس في وسع نجد أن
تتقلد هذا الأمر الخطير لفقر مواردها
وتفوق مصر عليها في العدد الحربية ،
والعلم والآداب وأسباب المدنية ،
وأنا المتحسر بعد على ما حل بهم
منى يا بشير .

بشير : أو يا ليتكم إذ قضيتم عليهم عفوتم عن
عبد الله عاهلهم .. ما كان جديراً أن
يُرْمى بين أرجل تلك الوحوش لتشرب من

- دمه العرى وتصلبه وتمثل به .
- إبراهيم : هذه غصة أخرى في حلقومي يا بشير .
- ما كنا نظن القوم ينالون من خصم
قد ذل لهم وأتاهم ضيفا عليهم .
ما كنا نحسبهم يرفضون شفاعتنا
في ذاك الأمير الشهم . ولم نلتمس منهم
إلا ما يوجبه الإحسان عليهم والإنسانية .
لكن ليس هذا أول مرجولى أو
لأبى خاب في هذا السلطان .
والله لضاعف مقتل عبد الله كراهيتي
للقوم . وأزث من حقدى المشبوب عليهم .
والله لأنتقمن له منهم .
(يدخل الكولونيل سيف) .
- أهلا بصديقى سليمان ! أين تغييت عنا طويلا ؟
- سيف : كنت أشهد تدريب الجيش يا مولاي .
- إبراهيم : حسنا ..
- (للأمير بشير) .
- أيسرك يا سيدى أن تعرف قائدنا الإفرنسى المسلم ؟
- بشير : أهو ذا الكولونل سيف يا مولاي ؟
- إبراهيم : هل تعرفه ؟
- بشير : قد سمعت به وبخبرته في فنون الحرب .

- إبراهيم . : الأمير بشير الشهابي يا كولونل .
- سيف : أهلا بأميرى النبيل .. تشرفت يا مولاي .
- إبراهيم : سيكون لنا سيف عوناً على فتح سوريا
إن شاء الله .. أليس كذلك يا سيف ؟
- سيف : أنا طوع يمينك يا مولاي .
سيف ماض في خير يمين .
- إبراهيم : إنه يا بشير ليؤمن كل الإيمان بالفكرة العربية .
- بشير : أتراها ممكنة يا جناب القائد ميسورة ؟
- سيف : هي يا مولاي طبيعية لا يعوزها إلا
حسن التدبير وصدق العزم لتبرز من
عالم التفكير إلى عالم الواقع .
- ما زلت بها مؤمناً مذ سمعت النسر الفرنسي
نابليون يقول بها ، إذ رأى ببصيرته
أن هذى الدولة لا بد من شطرها شطرين .
وأن بلاد الضاد الأخرى أن يستقل
بها ملك عربي .. وقال لنا يوماً
إن أولى الناس بهذا الأمر محمد علي
وعسى الأيام تحقق ما قال نابليون .
- إبراهيم : كيف سارت شؤون التدريب يا كولونل ؟
- سيف : سيرا حسناً يا مولاي .
- إبراهيم : كيف ترى الجندي المصري يا كولونل

- هل ينقص في شيء عن أخيه الأوربي ؟
سيف : كلا يا مولاي . بل هو أصلب عودا
وأصبر منه وأطوع .
- إبراهيم : أو ما تلقى عنتا في تدريبه التدريب الحديث ؟
سيف : كل مستحدث صعب ولكن كل صعب يا
مولاي على الأيام يهون
- إبراهيم : أتصدق ما قيل إن وداعة سكان الوادي
لا تهيئهم للحرب ؟
- سيف : لا يا مولاي فما هو إلا اختلاق وزور
أولم يطرد أحسن الهكسوس بهم ؟
أولم يستولوا على الشام حتى أعالي الفرات ؟
أولم يدفعوا هجمات التتار عن الشرق العربي ؟
أولم يقفوا سدا في وجوه الصليبيين ؟
إنما فقدوا الروح الحربية واستخذوا
بعد استعباد الترك لهم .
- إبراهيم : ليت شعري متى نستغنى بهم عن
عصابات الأكراد وعن فرق الأرثووط ؟
- سيف : سترى ما يسرك منهم يا مولاي .
- إبراهيم : أولست ترى أن الترك أشجع في المعمان
وأَمْضَى على الأهوال ؟
- سيف : إن الشعب المصري لشعب شجاع نبيل .

ولكنه لم يكن بالمثل الذى يستمد
شجاعته من غلظته وبلادة حسه ،
وستعلن حملته البحرية لليونان .
كفايته وكفاية أسطوله للعالم أجمع .

بشير : لكن سيكون الغرم على مصر يا مولاي
وللسلطان الغنم كدأبه .

لِم لا ترفضون معونته فى الحرب مع اليونان
وتغزون سوريا استنجازا لسابق وعده ؟
ليكونن هذا آخر عون نقدمه

إبراهيم : للترك ، فإن لم يوفونا وعدهم بعد ذلك
يضم الشام إلينا . لننفتلن إليهم
ونتخذن القوة ما بيننا حكما .

بعد أن يعرف الأشهاد بطولتنا ويروا
بأسنا فى ميادين اليونان .

بشير : آه . سيطول بنا الانتظار إذن حتى
ترجعوا من هذى الحرب . ومن يدري
أتعودون بالنصر أم بالتى لا أحب لكم .

سيف : إني واثق بالنصر إذا لم تقف

دول الغرب فى صف اليونان .

بشير : أتراهم لا يدفعون عن اليونان إذا

ما رأوا أنكم ظاهرون عليهم ؟

- (يدخل الغلام ويدنو من إبراهيم فيسر إليه كلمات
إبراهيم : (للغلام) دعه يدخل .
(ينطلق الغلام) .
- (لبشير) ستري الآن جاسوسا من جواسيس الأتراك
وهم فينا كرجال النفاق بعهد الرسول .
يَشُون بنا ويذيعون أسرارنا للقوم
وليس لنا من سييل لتأديبهم . أوه من
هذا النير أوه . متى نرميه ؟ متى نلقيه ؟
بشير : قريبا نخلعه من أعناقنا بيدك .
- إبراهيم : بيدي هذي الجذباء ؟ بيمناي هذي القصيرة ؟
بشير : جذبت أيدي أعدائك يا مولاي . لكن
قصرت يمينك فسيفك يا مولاي طويل .
- إبراهيم : أرني يا صديقي يمينك ..
(يعرض بشير يميناه لإبراهيم ضاحكا) .
ما أطولها . ما أبرعها يا بشير !
- بشير : ما طالت أيماننا إلا لك يا ابن محمد
إبراهيم : وعلى أعداء ..
- بشير : العرب .
- إبراهيم : مرحى .. مرحى يا بشير !
(يهز يده هذا عنيقا)
- (يدخل صابر بك ويحيى إبراهيم منحنيا حتى يكاد

(الأرض) .

- صابر : سيدى . مولاي . صباح الخير .
إبراهيم : مرحبا بك يا صابر
صابر : شكرا لك يا مولاي للطعمك يا مولاي ،
بعبدك يا مولاي ، بموطىء نعلك يا مولاي ،
ليرقع أسمى تهانيه القلبية يا مولاي
إلى أعتاب جنابكم الفخم يا مولاي ،
بما أنعم السلطان عليكم به من
إمارة مكة يا مولاي ، وأنتم جدير
بهذا العطف الشاهاني الأكبر يا مولاي ،
رتبة أعلى من أى سواها يا مولاي .
لأى سواكم فى أنحاء المملكة العثمانية
لم ينلها سواكم يا مولاي ، وأنت أحق
بها من كل صغير وكل كبير فى الدولة .
إبراهيم : إن هذى التهاني أحرى بها أن توجهها
لأبى ، فهو أولى بها منى ، إذ له فضلها
لالى ..
صابر : لا بل لك يا مولاي لما وضع السلطان
من الثقة العظمى فيك يا مولاي ، ولاح له
من بطولتك العليا وكفايتك الكبرى
فى كل الشؤون التى نيظت بك يا مولاي ،

(الوطن الأكبر)

فضلا عن نضر شبابك يا مولاي ،
وماضي عزمك يا مولاي ، وكامل إخلاصك
إبراهيم : قدك يا هذا .. إن هذه الرتبة أو غيرها
مما هو أعظم منها إذا أسندت لي فقد
أسندت لأبي . إني لا أملك لي فضلا
إلا ما تحدر منه إليّ ..
وإذا ظن الحمقى أن هذا يثير التنافس
بين النجل البرّ وبين أبيه العظيم
فقد ضلوا والله ضلّالا بعيدا .
ثم فيم تهنتني بإمارة مكة يا هذا ؟
إني لن أرضى عن سلطانك حتى
ينصف والدي المطلوب ويعطيه حقه
غير منقوص شيئا . أو لا فلأنتصفن
بسيّفى منه وسوف يرى أنى أنا إبراهيم
أما قنديا فاعلموا أنها لا تساوى
مهجة نجدى واحد عندي .
فإذا كان السلطان حريصا على أن تبقى المودة
ما بيننا فليرع العهد لوالى مصر . وإلا
فإن السيف الذى سبل من أجله فى نجد
ما زال فى كفى لأبز به سوريا من يده .
صابر : هل تعصى الخليفة يا مولاي ؟

- إبراهيم : إني لا أعصى خليفة مصر ، فأما
خليفة اسطنبول فإن يعصنا نعصه .
- صابر : لكن الخليفة للمسلمين جميعا يا مولاي .
(يصفق إبراهيم بيديه ويحضر الغلام) .
يا غلام آتني بالشيخ رفاعه .
- الغلام : طاعة مولاي .
(يخرج الغلام) .
- إبراهيم : من ذا استخلف الأتراك على المسلمين
وكيف حظوا بالخلافة ؟
- صابر : منذ أعلنها السلطان سليم يا مولاي .
وقد فتح القطر المصري بعون الله وتأييده .
- إبراهيم : (متهمكا) فتح القطر المصري بعون الله وتأييده ،
ثم ماذا ؟ أقام العدل به والشريعة والأحكام .
وأنعش آداب الإسلام . أليس كذلك يا صابر ؟
وبهذا استحق خلافة دين الله . أليس
كذلك يا صابر ؟
- (يدخل الشيخ رفاعه الطهطاوي حاملا قطرا في
يده) .
- رفاعة : السلام عليكم
بشير : وعليكم السلام .
رفاعة : الأمير بشير هنا .. أهلا بالأمير .

- بشير : مرحبا بك يا سيدى .
إبراهيم : هات تاريخ ابن عباس .
رفاعة : سمعا مولاي .
- (يذهب إلى خزانة الكتب ويخرج منها كتاب بدائع
الزهور في وقائع الدهور) .
- إبراهيم : أسمعنا ما جاء فيه عن السلطان سليم
إذ جاء مصر ، ليعرف ذا الشخص المغرور به
أى وحش كان سليم وكيف استجق الخلافة .
رفاعة : (يتصفح الكتاب ثم يقرأ بصوت مسموع) .
- وفي مدة إقامة ابن عثمان بمصر لم يجلس بقلعة الجبل على
سرير الملك جلوسا عاما ، ولا رآه أحد ، ولا أنصف
مظلوما من ظالم ، بل كان مشغوفا بلذته وسكره وإقامته
في المقياس بين الصبيان المرد ، ويجعل الحكم لوزرائه
بما يختارون ، فكان ابن عثمان لا يظهر إلا عند سفك دماء
الجراكسه وما كان له أمان إذا أعطاه لأحد من الناس ،
وليس له قول ولا فعل ..
- إبراهيم : انتقل إلى موضع آخر .
رفاعة : (يقرأ) شكا الناس من أذى العثمانيه الذين بمصر ، وتزايد
منهم الفساد في حق الناس وصاروا يتوجهون إلى الأماكن
التي في زقاق الكحل والمسطاحى والتي في الجر وحكر
الشامى والأزبكية ، ويأخذون ما فيها من الأبواب

والشبابيك والسقوف الحديثة والطيقان ، ويحملونها على
الجمال بين الناس على النداء والإجهار ويبيعونها بأبخس الأثمان ..

إبراهيم : يا رفاعه حسبك شنتف أسماعنا بمناقب من
فتح القطر المصرى بعون الله وتأيسده .

سيف : ياله من وصف شنيع !

بشير : هذا بعض ما كان يحدث فى قطرنا منهم .

إبراهيم : أسمعت مقال التاريخ فى سلطانك يا صابر ؟

صابر : هذا كذب يا مولاي .

إبراهيم : قول ابن إياس يحتمل الصدق والكذب ، ولكن

تؤيد صحته أعمال ولا تكمو فينا .

أنكذب أعيننا أيضا من أجلك يا صابر ؟

صابر : هذا شيء لا يطاق . تهينون تاريخنا ،

وتهينون مولانا السلطان .

إبراهيم : من يهنا نهنه ، ومن يكرمنا نكرمه وزيادة .

صابر : عجبا لك يا مولاي ، تسب الترك ومنهم أنت ؟

إبراهيم : صه يا هذا .. لست تركيا (١) .

إلى قد جئت لمصر صبيبا .

حيث مصرنى شمس الوادى

وأحالت دمي فى عروقي دما عربيا .

(ستار)

(١) هذه الجملة مأثورة عن إبراهيم باشا نفسه ، وقد أوردها الأستاذ عبد الرحمن الرافعى

بك فى كتابه تاريخ الحركة القومية (ج ٣)

المنظر الثالث

جانب فسيح من العراء خارج أسوار عكاء وعلى مقربة
من معسكر إبراهيم باشا على يمين المسرح (غير ظاهر في
المنظر) .

يظهر على بعد من هذا المكان جانب من سور المدينة وقد
أحدثت فيه المدافع المصرية ثلاث ثغر .
(تدخل نعامة من يسار المسرح) .

نعامة : أبتاه ، سلام الله عليك . رحلت على
غرة منا ومضيت كما أمس الدابر .
قتلوك وما هابوا شيخوختك البيضاء
ولا رحموا ضعفك .

اليوم عرفت اليم المضاعف عن أمي وأبي .
ويل للقاتل ! ويل له منى ! لن
أتركه يتمتع بالعيش من بعدك ،
لن أتركه قط يمرح حرا فوق الأرض
وأنت بيطن الثرى ثاو وأسير .
يا ليتك يا والدي لم تناصر عبد الله ،

فعبد الله فتى غدار لا يرعى عهدا .
خلاك لبسطش المصريين . ولم يمدد
— كما وعد الملعون — بمال ولا برجال ،
وتحصن في قصره خلف أسوار عكاء
ترتد عنها المدافع . والهة حسرى .
بل ليتك حالفت الغازى المصرى ، فمن
يدرى قد يكون لنا خيرا من عبد الله ،
وقد يكفيننا شر زعانفة الأتراك .
واهالك يا أبتاه ! أبيت الغدر
بعبد الله وإن كان عبد الله غدورا .
لو كنت كغيرك من أشياخ القبائل
أبتى ، لأفدت جدا من إبراهيم ومالا كثيرا .
ويل إبراهيم القاتل ! ويل له منى !
سأصير إليه بأى سبيل على أى حال
ولو كان فى برج عال دونه ألف باب
وألف حجاب — سأقتله أو يقتلنى .
لن أعول بعد اليوم على تامر أو زيد .
فقد قضيا شهرا دون أن يدركا منه شيئا .
من هذا الفتى المتسلل نحوى ؟ أحسبه
زيدا ابن عمى .. أجل هذا زيد نفسه .
(يدخل زيد من يمين المسرح) .

- زيد : أهلا بحياة الروح . أنت هنا ؟ ماذا
تصعين هنا يا نعامة ؟
- نعامة : بل قل أنت ماذا صنعت ؟ وأين أخى
تامر ؟ هل أدركتبا غرة من إبراهيم ؟
- زيد : قد طلبنا غرة إبراهيم مرارا ولكننا
لم نوفق لها بعد .
- نعامة : تبا لكم إنكم جناء ولست بمن يدركون الثارات .
- زيد : لسنا جناء ولكن الأمر ليس يسيرا
كما تحسبون . وها هو ذا تامر فاسأليه .
- تامر : (يدخل) أهلا بك يا أختاه . أنت هنا ؟
(يحاول عناقها)
- نعامة : لا . لا . إني أقسمت بأن لا تعانقني
يا تامر إلا إذا جمعت تحمل لي البشرى .
- زيد : غيرتنا أختك بالجبن يا تامر .
- تامر : صدقت فيك . ما أنت إلا جبان . فقد
أمكنتك الفرصة أول أمس بوادى الزراعة
بعد اندحار الترسك ، إذ انفرد الغسازى
عن فرسانه فأضعت الفرصة من جيبك .
- زيد : لم يكن يا تامر منفردا فإن سرحان كان
يراقبه من محل غير بعيد ، وقد
ألقي نظرة كالهيم إلى ، حسبت بها

أه كان بعرف مضمير قصدى فما كان منى
إلا أن حدثت عن وجهه كيلا يرتاب أمرى .
ماذا غير دا كنت تصنع لو كنت فى موضعى ؟

تامر : لانطلقت إليه انطلاق السهم بالحفنة يا أبى

زيد : أتغال العتك بإبراهيم يسيرا ؟ ألم

تعلم أنه بلبو الناقة الفرجساء

بضربة سيف فيشطرها شطرين ؟

نعامة : ليته شطرك .

زيد : ثم سرحان . ما كنت تصنع فى سرحان ؟

تامر : ليقتلنى سرحان إذا استطاع بعد نجاتى فى غرضك .

زيد : أتقول إذا استطاع سرحان يا تامر

أولم تره فى وادى الزراعة كيف أرى

جند الأتراك نجوم الظهر وجدل أبطاهم

وأعار على مدفعيتهم بفصيلته

وهى تلد بالنيران تظاهر من حوله

وتقول إذا استطاع سرحان يا تامر ؟

نعامة : تبا لك يا منحوب القلب . لبئس لعمر الله

حليل الكريمة أنت . وبئس أبو الأبناء .

زيد : لا تهجبنى يا نعمام فسوف تريسن

أبا ماجدا منى وحليلا كريما .

نعامة : اسكت .. لست ابنة فهد إذا

- ما رضيت بمثلك لي بعلا ..
- زيد : أكذا أفسدت عليّ نعامه يا تامر ؟
- تامر : إن في إمكانك أن تستصلحها حين تصلح ما أفسد.
- نعامه : لن أعول بعد اليوم على أحد منكما سأصبر إليه وأقتله بيدي .
- تامر : أني لك يا أختاه الوصول إليه ؟
- نعامه : سأصاّدك ذاك الفتى النجدي وأنفذ منه إليه .
- زيد : ستصاّدك ذاك الفتى النجدي ! أجنونة أنت ؟
- نعامه : مجنونة هبنى . إن جبنك جننتني .
- تامر : أنت غيران يا زيد .. ماذا تخاف عليها منه ؟
- سوف تختله عن سيده حينما يطمئن إليها ويهاها ..
- زيد : أو قل حينما تطمئن إليه وتهواه .
- تامر : اصمت يا سافل . ماذا يضير الشريفة أن تهوى بطلا مثل سرجان ما صانت عرضها . دعها تفعل ما تشاء ولا تجهل أنها ابنة فهد .
- زيد : إن قولي يؤذيكما .. لا بأس سأصمت حتى أرى ما عسى تفعل ابنة فهد مما أعيا ابن فهد .
- تامر : قولي يا أختي ، هل تعرفين الفتى النجدي ؟
- نعامه : إن لم أعرفه سألت الذي يعرفه .
- أولم يقدم من سهل الزراعة ليلة أمس ؟

- تامر : بلى .. إنه دائما مع إبراهيم .
ما أنت لسرحان قائلة يا نعامة ؟ .
- زيد : حقا ماذا أنت قائلة له ؟
تامر : صه . أما التيسزم الصمت فوك ؟
نعامة : اتركنا لي هذا فما لكما شأن به .
عجبا ! هذا حس أشخاص قادمين .
من هم يا ترى ؟ .
- زيد : عليهم حراس يطوفون حول المعسكر .
(زيد وتامر يستروحان القادمين)
- تامر : هذان شخصان من حراس المعسكر لا ريب .
فلنصرف من هنا كيلا يرتابا بنا .
- زيد : هيا يا نعامة .
تامر : هيا يا أخت .
نعامة : لا بل سأبقى هنا انصرفا أنتما .
لا تخافا عليّ .. سأبدأ في عملي الآن ..
- تامر : الله معك .
(ينسحب تامر وزيد إلى جهة اليسار ويغيبان)
- نعامة : يا مكر المرأة أسعفنى . قوتى يا رب .
(يدخل الحارسان من جهة اليمين)
- أحد الحارسين : هذى امرأة تمشى وحدها .. ماذا تبغى ها هنا ؟
الآخر : ماذا تصنعين هنا يا امرأة ؟

نعامة : حفظ الله مولانا الباشا . أنتما من رجاله ؟
الحارس : إى والله ، ما تصنعين هنا ؟ أو لم تعلمى
أن السير ممنوع فى هذى الحدود ؟

نعامة : ممنوع على غيرى يا صديقى .

الحارس : من أنت يا هذى ؟

نعامة : إنى امرأة من نجد أريد أن أرى سرحان .

الحارس : سرحان ؟

نعامة : أجل .. سرحان ابن عمى .. ألا تستطيعان أن

تخبراه بأن هنا امرأة من نجد تريد أن تراه ؟

الحارسان : حسنا ، سنقول له . انتظرى ههنا .

نعامة : شكرا لكما من جنديين كريمين .

(ينصرف الحارسان)

ليت شعرى أياقى الفتى النجدى إلى ؟

(تصلح من شعرها وتخرج مندبيلها فتمسح به عينيها ، ثم

تخرج مرآة صغيرة فتنظر فيها ثم تعيدها إى جيبها)

هل يلبى دعوة بجهولة مثلى ؟ هل يسعى

إلى الشجاع الذى لقى الأتراك على

سيفه حتفهم . كى يلقى على عيني رداه ؟

ها هما الرجلان .. أذاك الذى فى إثرهما سرحان ؟

(يدخل الحارسان وفى إثرهما سرحان)

أحد الحارسين : هذه هى يا سيدى .

- سرحان : حسنا . اذهبا أنتما مشكورين يا أخوتي .
نعامة : (على حدة) هل تكذبن عيني . أم هذا عين الفتى
النجدي الذي كان مر على حيننا لفان فأسقيته ماء ؟
(ينصرف الحارسان)
هذا توفيق جميل سوف يذلل من صعبى .
سرحان : أمة الله ها أنا سرحان . ما حاجتك ؟
نعامة : أهلا بك يا سرحان .
سرحان : مرحبا بك يا سيدتى .
نعامة : لا تقل لى سيدتى . إني ابنة عمك يا سرحان .
سرحان : أهلا بابنة العم . هل من مرام فأقضيه لك ؟
نعامة : لا شىء سوى أن أراك .
سرحان : شكرا يا ابنة العم . هذا لطف منك .
دعيني أعرف ما حاجتك ؟
نعامة : حاجتى يا ابن العم أن أتأمل سر البطولة فى عينيك .
(تسقط النقاب عن وجهها بلباقة)
عفوا يا ابن العم ..
(تعيد نقابها) تبا نقاب الشؤم .
سرحان : (يتلثم) معاذ الله .. نقابك هذا نقاب الحسن .
ما دفاعك عن خرقة ضمت حسنك
إلا أن يدركها للب من نور محياك .
نعامة : أمدير حروب يا سرحان وشاعر ؟

- سرحان : ما قلت الشعر ولكنى سبحت بحسبك .
نعامة : ويل لك .. هذا أشعر يا سرحان .
(يسقط نقابها ثانيا فتعيده ، فيسقط فتعيده)
سرحان : هذا الوجه غير جديد على عيني ، كان لي عهد من قبل به .. أين أبصرته يا ترى ؟
نعامة : ربما أبصرت فتاة تشبهني .
سرحان : كلا بل رأيتك من قبل ، لا شك عندي فيه ولكن أين رأيتك ؟ لا أذكر الآن ..
نعامة : ما أسرع ما تنسى أصدقاءك يا سرحان .
سرحان : النعمة هذى تعرفها أذنى .
نعامة : هل أسقيك ماء يا سرحان ؟
سرحان : أجل . أنت ذات السقاء التى أكرمتنى أول ما جئت من نجد منذ ستة أشهر .
نعامة : الآن تذكرت يا سرحان .
سرحان : كيف حالك يا أختاه وحال ذويك ؟
نعامة : (تنهد) بخير يا سرحان .
سرحان : أين كنت طوال المدة ، يا طالما اشتاقت عيني أن تراك .
نعامة : كان هذا أيضا حالى معك .
سرحان : كيف جئت إلى ومن أدراك بأنى هنا ؟
نعامة : لم يبق بأحيائنا من لا يعرف البطل النجدى .

- سرحان : أنت امرأة من نجد كما أخبر الخارسان ؟
نعامة : بلى .. أنا من نجد لكن ليس لي سحر ليلي وا أسفاه .
سرحان : ليلي ؟ أنت أسحر من ليلي .
نعامة : إن ليلي كان لها قيس يا سرحان .
سرحان : كل الورى يا ... ما اسمك يا أختاه ؟
نعامة : نعامة يا سرحان .
سرحان : نعامة .. كل الورى يا نعامة قيس لك .
نعامة : لا شاغل لي إلا قيس واحد لا يباليني .
سرحان : من هذا القيس الذى لا يباليك يا ...
قولى الصدق ما اسمك يا أختاه .
نعامة : نعامة يا سرحان .. ألم يعجبك اسمي ؟
سرحان : ما أصغر هذا الاسم إليك !
فيم لم يسموك ملاكا أو قعرا أو حياة أو كوثر .
نعامة : أتتال من اسمي فى وجهي ..؟ تبالك يا سرحان !
سرحان : أهو اسمك حقا يا أختاه ؟
نعامة : هو اسمي والله يا سرحان .. اتحقرونى من أجل اسمي ؟
سرحان : لا ورب الكعبة يا أختاه .. لئن كنت
صديقة ففدى للنعام أبى وعشيرتى .
ليسموك ما شاعوا يكن اسمك فى شفتى
شهدا ومداما .. وفى كبدى بردا وسلاما .
والله لو أنك سموك جلمودا لعشقنا الجلاميد .

- نعامة : لكن لا أحب السراحين يا سرحان
سرحان : فيم يا أختاه ؟
نعامة : لأن السراحين لا ترعى عهدا .
سرحان : سرحانك لا كالسراحين يا أختاه كما أنك لا كالنعام .
نعامة : هل تزوج سرحان يا سرحان ؟
سرحان : لم لا يتزوج يا سرحان ؟
سرحان : لا نعامة ترضاه
نعامة : وإذا رضيته ؟
سرحان : فسوف تراه أسعد زوج .
نعامة : وإذا لم تكن من نجد أيهاها أيضا ؟
سرحان : إنه قد درى أنها ليست من نجد .
نعامة : كيف درى ؟
سرحان : من لهجتها الشامية ذات اللحن الحلو .
نعامة : هل يرضاها — وهو نجدى — زوجا غير نجدية ؟
سرحان : لم لا ؟ ذاك مما يزيد القلب بها نوطا
ما الشام ونجد سوى دارين يؤلفنا
فيهما وطن واحد ، نسب واحد ، لغة واحدة .
وإذا نصر الله إبراهيم وحررنا من نير الشرك ،
فسوف يؤلفنا وجميع بني يعرب ملك واحد .
نعامة : هل ترضون الغازى المصرى الذى يغزو
أرضنا ويثلم ممالكنا ويقتل آباءنا

وشيوخ قبائلنا ، هل ترضونه ملكا للعرب ؟
سرحان : إنه لم يقتل منكم سوى من ناصر أعداءكم ،
أو ألقى العوائير في سبيل الوحدة العظمى .
إن سيف العروبة قد حل من غمده فهو يفرى
رقاب العدو وأعناق أبنائها الخائنين .

ولن يطمئن إلى غمده أبدا حتى
تعشق العرب من ذلها ويتم استقلالها .
ويرف لواء العز على الوطن الأكبر .

نعامة : هل كنتم خوانا للعروبة إذ قاتلتم
جيوش المصريين بنجد ؟

سرحان : كلا يا نعامة ما كنا إلا أوفياء لها
إذ قاتلناهم على أنهم أعوان الترك
الذين أبينا الخضوع لهم . وأردنا أن
ننقذ العرب من ظلمهم . قبل أن نتبين
نيات إبراهيم . فكان الذى كان ما بيننا
وأدال الله لمصر القومية منا ، فلم
تبرم بقضاء الله علينا لينهض إبراهيم
بما لم تنهض به من جمع شتات العرب .
إن أمى التى قاتلت جيش إبراهيم وجيش أبيه ،
أبت إلا أن تبيع الحللى الذى معها
لتجهز لى لأقاتل فى جيش إبراهيم

لفتح بلاد الشام وتخليصها من أيدي الترك .
ولقد عاهدتني على أن أفديه بدمي
وأدافع عنه إلى أن أذوق الموت .
(يصبوب النظر فيها) .

ولعل الله جزاني على نصحي في طاعة أمي
بأن ساق لي وجها كنت أطلبه في الناس
فلا ألقاه ويطرقني في أحلامي .
(يدخل غلام سرحان) .

الغلام : سيدي .

سرحان : (يلتفت إليه) ما وراءك ؟

(يشير الغلام أن أقبل فيدنو سرحان منه فيسر إليه الغلام
حديثا) .

نعامة : (على حدة) ما هذا العطف الذي أحسست به

نحو هذا الفتى النجدي ؟

ويله يكاد يستل من نفسي بغض إبراهيم .

أتراني أحببته أم أحببت إبراهيم

أم الاثنين معا ؟ لا .. لا يا نعامة

ثأر أهلك يناديك من ظلمات القبر

فامض في سبيلك لا ترجعي من نصف الطريق .

ها قد طفل الصيد يسعى به حتفه للشرك

فدعيه يرد حوضه آمنا ، حتى

يقضى الله في شأنه أمرا .

يا ضعف المرأة عنى إليك . اقس يا قلبى

كن كالصخر ، إن الرحمة في قسوتك .

أهمنى الخيلة أيتها اللحية المنضوبة

بالدم . ويح أبى ويحه لن يعود إلى .

(ينصرف الغلام ويعود سرحان) .

سرحان : إن مولاي يدعونى يا نعامة .. كيف وأين أراك ؟

نعامة : هل ترغب فى رؤيتى بعد يا سرحان ؟

ألست ترى الخير أن لا ترانى بعد الآن ؟

سرحان : فيم يا نعم .. أنى لى الصبر عن رؤيتك ؟

نعامة : قد يريب القوم مجيئى هنا فأعود عليك

بضر يا سرحان .

سرحان : لا تخافى من سوء يا نعام ، دعى لى هذا الأمر ،

عدينى متى ترجعين ؟

نعامة : لن أعود إليك على هيئتى هذه أبدا .

لكن ما رأيك يا سرحان لو أنى ارتديت

ثياب أخى واختلفت إليك اختلاف الصديق ؟

سرحان : لله أبوك . لهذا رأى جميل .

كيف اهتديت إليه . بورك فيك .

نعامة : حبى لك اللهمنيه يا سرحان .

سرحان : بل رضا الله عنى ونجمى السعيد .

- أخبريني بأى اسم ندعوك ؟
نعامة : اختر لى أيا تحب من الأسماء .
سرحان : ما رأيك فى نعمان ؟
نعامة : جميل يا سرحان .
سرحان : متى تأتينا يا نعمان ؟
نعامة : غدا إن شئت .
سرحان : سترانى هنا فى انتظارك .
(تمد يدها إليه) .
الوداع صديقى العزيز .
سرحان : (يضافحها) إلى الملتقى يا صديق الروح .
(تنصرف نعامة)
أى يوم سعيد هذا اليوم
ما رأت عينى كاليوم جمالا ولطفاء .
حمدا لك يا ربسى . ماذا قدمت
فتجزينى كل هذا الجزاء ؟
ما أشبه هذا الذى كان بالأحلام .
(تسمع جلبة من يمين المسرح)
ويلتاه . أهذا حين استيقظت من حلمى .
(يلتفت إلى جهة الجلبة)
هذا مولاي وقواده قادمين .
كان أجدر بى أن لا أستأخر عنه .

(يدخل إبراهيم وخلفه الكولونل سيف وإسماعيل باشا

وجماعة من قواده ورجاله) .

إبراهيم : سرحان هنا . ما تصنع ؟

سرحان : مولاي في خدمتك .

إبراهيم : (يلتفت إلى سيف) .

حسنا . انظر يا سيف أأست ترى أن هذه النقطة

صالحة لنهاجم سور المدينة منها ؟

سيف : حقا مولاي فهذا أقصر خط إلى

كبرى الفتحات الثلاث التي أحدثتها

مدافعنا في السور . ولكن أرى أنه

لم يحن بعد وقت الهجوم .

إبراهيم : لم يحن بعد وقت الهجوم . أنبقى إذن نصف عام

آخر حتى نفتح عكاء ؟ لا يا سيف .

سيف : ستسلم يا مولاي بدون عنساء حين

يطول عليها الحصار وينفذ فيها القوات .

إبراهيم : ما أحسب هذى بالمدينة ينفذ منها القوات

ولو حاصرناها عاما كاملا .. لا .. لا ..

لن أصبر يا سيف أطول مما صبرت .

سيف : لا تجازف يا مولاي بنفسك . إن المدينة

أمنع من أن يغير عليها الجيش .

وإن مدافعها سوف تحصده حصادا

واذكر أنها أعتت من قبل صرامة نابليون .

إبراهيم : (يجرده سيفه غاضبا) .

دعنى من نابليون فأنى إبراهيم ..

سيف : لا تغضب علىّ فما هو إلا الرأى الذى

عودت عليه رجالك يا مولاي ، وإنى

بعد لعبد مطيع لك .

إبراهيم : سيعاودنا الأتراك بأكبر جيش لديهم

ولن يجدوا قولى حيثئذ شطرين .

(يلتفت إلى رجاله) .

يا أبطال الوادى يا رجال الموت . أما

فيكم من يبائع إبراهيم على الموت ؟

إن صوت النصر ينادينا من أفواه تلك الثُغُر .

من يسمعه ؟ من يلبيه منكم ؟

سرحان : أنا مولاي ؟

إبراهيم : (يصفحه) بورك فى ابنك يا غالية .

إسماعيل : أنا يا عم .

إبراهيم : (يعانقه) بورك يا ابن أخى فىك .

أحمد المنبكىلى : أنا مولاي .

إبراهيم : بورك فىكم يا أبطال .

اذهبوا فاختراروا أشجع فرسانكم

وسيحملنى فرسى بينكم . والله معى .

- الجميع : الله ونحن معك .
إبراهيم : واحمنا يا سيف بنيرانكم من حفافينا
رويثا ننسف الأسوار ونقحمها فاتحين .
سيف : سمعا مولاي .. لترعك عين الله .
إبراهيم : (يضرب على صدر سيف)
عشت يا سيف ، أنت الآن زميلي القديم .
سيف : عبدك الدهر يا مولاي .
إبراهيم : لن تعجزني عكاء وأنت معي .
يا أبطال وادى النيل انظروا فى السماء
لن تغرب هذه الشمس المنيرة حتى
نفتح تلك التى ارتد عنها نابليون .
إن الله لا يرضى أن تفتح هذى البلاد
لغير العرب .
(يمشى إبراهيم إلى جهة اليمين وخلفه إسماعيل وسرحان
وسائر القواد بينا يسدل الستار) .

(ستار)

المنظر الرابع

(في مدينة عكاء — في أحد قصور عبد الله واليها الذي اتخذها إبراهيم باشا مسكنا له أثناء مقامه بالمدينة . يرى جانب من السور المحيط بالقصر . ويرى جزء من رواق القصر . ويقع على يمينه الجانب الذي فيه غرفة نوم إبراهيم .. يفصله عن الرواق دهليز صغير به شباك يطل على الرواق) .

(تظهر نعامة وتامر وزيد وثلاثة آخرون من أبناء عمومة تامر خلف السور أمام الباب الخلفى الصغير الذي أعطى سرحان لنعامة مفتاحه ليسهل عليها زيارته ليلا) .

نعامة : أمهلنى بضعة أيام أخرى . حتى

يزداد وثوقا بى سرحان وإبراهيم
فأنجح فى عملى .

تامر : ويل لك يا فاجرة !

أتدبريننا يوما بعد يوم عن عملك ؟
قد عرفناك بالخناء سباك هوى سرحان
فأنساك ثأر أهلك .

- نعامة : لا والله لم أنس ثأر أبي . إنما
أتريث من أجل ثأر أبي .
- تامر : ما تنتظرين ؟ أتبعين أكثر من أن تبيتى
على بضع خطوات من مرقد إبراهيم .
هل تنتظرين القاتل حتى يجيء إليك
بخنجره ويقول خذى هذا فاذهبى .
- نعامة : أمهلنى يومين أيضا يا تامر .
- تامر : كلا والله لئن لم تقضى الليلة ،
هذه الليلة حاجتنا ، لتجدى فى الدنيا
مجنونا يقتل بنت أبيه وأمه .
- نعامة : لا تقل هذا ، لا تسمعه ويلك من فيك الأقدار .
- تامر : إن أصبح إبراهيم غدا فدعها تسمعه من فمى :
يا نعامة يا بنت فهد القتل الذبيح
أيرضيك أن تبقى أشلاء أيبك
ملقاءً فى بطن الثرى . تشكو
من حر الصدى ، وتلمل من حركات الجوى ،
لتبيتى أنت وسرحان فى أحضان الهوى
بين بيض المنى فى سواد الدجى ؟
يا لعار القبيلة يا لثأر بنى النعمان .
- نعامة : أمسك يا تامر . حسبك حسبك . أغمدت
خنجرك المسموم بصدر فتاة موتورة .

تامر : بل أطوت الرماد عن النار في نفس مسعورة .

الآن خذى هذا المسحوق ، فذويبه
في قهوة سرحان حتى ينوء النعاس بجفنيه
ويميل به أرضا فتقومى حينئذ
للأخذ بثأر أبيك .

(يناولها كيس المسحوق)

فإذا أثبتت القتائل فانطلقى نحونا
جانبا السور الشرقى على أهبة للفرار ،
ومن خلفنا أبناء عمومتنا يحمون الطريق .
هل عندك خنجرك المسموم ؟

نعامة : أجل هو ذا عندى .

(تخرج الخنجر من بين ثيابها وتريه إياه)

تامر : (يعانقها) بارك الله فيك . امضى يا أخت امضى

واشجعى واذكرى أنك ابنة فهد .

نعامة : ثق بأختك يا تامر .

(تفتح باب السور الصغير فتدخل ، وينصرف تامر
ورجاله) .

(ترقى نعامة الدرج حتى تظهر على الرواق — يسقط
الخنجر من ثيابها ويقع على الأرض فتلتقطه مضطربة) .

ويلي ! ما أشأم هذا الفأل !

أتراه يسقط من كفى في حضرة إبراهيم ؟

(تتجه إلى يمين الرواق حتى تتوارى برهة عن النظارة ثم

تعود ومعها سرحان) .

نعامة : قد نام سيدنا الباشا ؟

سرحان : نام قبل الآن بوقت طويل يا روحى

فيم تضطربين حبيبة قلبى ؟ وفيم الليلة

هذا الوجوم ؟ أتشكين من بأس ؟

نعامة : لا يا سرحان .

سرحان : أتخشين من مخلوق يسمعنا ؟

نعامة : إى والله يا سرحان .

سرحان : اطمئنى يا روحى .. ما من مخلوق يسمعنا .

إنى قد صرفت الناس جميعا ، سوى خل

واحد لا بأس به أن يسمع نجوانا .

هل تدرين من هو ؟

نعامة : لا .. كيف يسمع نجوانا ؟

سرحان : إنه طالما كان يسمع نجوانا .

نعامة : تبا ! كيف لم تخبرنى بهذا من قبل يا سرحان ؟

سرحان : يا حياى لا تغضبى .. إنه نعمان .

نعامة : ويل لك يا سرحان لقد روعت فؤادى .

سرحان : أبعدى عنا نعمان الآن لكلا يسمع نجوانا .

(يفتح الحقيبة التى معها ويخرج منها حلتها فيخلعها عليها

ويلبسها العقد المرجانى) .

ها قد ذهب الواشى أطمأن الآن فؤادك ؟

- نعامة : اطمأن الآن .
(يأخذ بيدها فيقعدان على مقعد طويل) .
سرحان : (يشير إلى صدره)
لكن أخاه هنا قلق ما له اطمئنان .
نعامة : لماذا يا سرحان ؟
سرحان : لأن نعامة لا تطمئن إليه .
نعامة : ماذا تبغى منى ؟
سرحان : عربون الحب .
نعامة : وما عربون الحب ؟
سرحان : عناق الروح للروح .
نعامة : وأين هما الروحان ؟
سرحان : (يشير إلى ميسمه ومبسمها)
هنا وهنا .
سرحان : (يقبلها) كذا .
نعامة : ويلك ! كيف جرؤت على هذا ؟
قد تعديت طورك يا سرحان .
سرحان : بل تعدى حبك في قلبي طوره .
كل شيء له أطوار سيبلغ آخرها يوما .
إن الحب يندر في العينين ، وينبت في
أحناء القلب ، ويزهر بين الشفاه .
فعلام على حبي سنة الكون يا روحى تأبين ؟

أُتحيبني يا نعامة ؟ قولي أحبك يا سرحان .

نعامة : ماذا يعنى هذا القول يا سرحان ؟ ألم

تأخذ منى عربون الحب ؟

سرحان : بلى . قد أعطيتنى عربون الحب . بلى

قد لثمت فمى ، فاشهدى يا نجوم السماء

بأن نعامة قد قبلت ثغرى .

نعامة : كذاب أنت . ألسنت الذى قبلت فمى ،

وأخذت على كره منى ما سميت عربون الحب ؟

أنا قبلت يا كذاب ؟

سرحان : كلا ما قبلتني . بلى روحك قد عانقت روحى .

نعامة : روحى عانقت روحك ؟

سرحان : لا ، لا تفضيى . بل روحى التى عانقت روحك .

نعامة : أنسيت الليلة قهوتك النجدية يا سرحان ،

ألا تأتينا بعدتها كى نحسوها فى هذا الليل الجميل ؟

ها جئت إليك بمسحوق من أجود بن اليمن .

(تخرج له كيس البن)

سرحان : (يأخذ الكيس) ما أجمل هذه الهدية ! بورك فيك

سأجيبك بالأدوات فنصنعها قهوة فاخرة .

(يذهب سرحان إلى جهة اليمين)

نعامة : يا للقلب المضطرب !

هذى ساعة والله رهيبة ،

لكأني بنفسى التى بين جنبى تبرا منى .
كيف أقتل إبراهيم ؟ أقتله
وهو منقذ قومى العرب ؟
وحيبى سرحان ؟ كيف أحمله
تبعات اغتيالى وغدرى ؟
ما عساه يقول إذا وقع الأمر المخذور ؟
أفجعه فى مولاه إبراهيم وفى حبى ؟
كيف أفجعه فى بيض أمانيه فى استقلال
بلاد الضاد وتحريرها من عبودية الأتراك ؟
لكن كيف أترك قاتل شيخى يعيش ؟
آه ! قد يخاف المرء الشئ ، فتدفعه الأقدار
إليه معصوب العينين ؟ وما الأقدار
سوى الأصدقاء التى تتردد فى جنبات النفس .
(يعود سرحان حاملا معه أدوات القهوة وبساطا
يفرشه على الأرض فيقعدان عليه . يوقد الفحم فى
كانون صغير ويغلى الماء عليه) .

سرحان : شد ما يا نعم يذكرنى هذا نجدا
حيث كنا نخرج فى القمراء إلى البطحاء
ونسمر تحت النجوم على ود وصفاء .
نعامة : إيه حدثنا عن نجد وأيام نجد يا سرحان .
سرحان : حيث كنا نغنى أغائنا البدوية . نرسلها
كالخداءة ترددها الصحراء وتصغى لها

آذان الفضاء .

حيث كنا نفترش البطحاء وقد بردت
حبات الرمل بها إلا ما يرسله جوفها
من دفء شهى يحدث عن أشواق ذكاء ،
مثلما بردت حبات العقد على جيد الحسنة
لدى الأسحار ، سوى ما يرسله نحوها
من دفء شهى يترجم عن أشواق السماء .

نعامة : ماذا ؟ ألتف ذراعك هذا قط على

جيد حسنة يا سرحان ؟

سرحان : لا وفتنة عينيك يا نعم ما التفت هذا الساعد

إلا على هندوانتي أو عرف جواد .

نعامة : فما تشبيحك هذا الناطق يا سرحان ؟

سرحان : نعامة . ما هذا إلا من أحلام الشعراء

يقولون في شعرهم ما لا يفعلون .

نعامة : أو ما تعرف الصدق في تشبيحك يا سرحان ؟

سرحان : في وسعك وحدك أن تجعل تشبيهي يا نعم صدقا .

نعامة : كيف أجعله صدقا .

سرحان : ائذني لذراعي أن يلتف على عقدك .

نعامة : (تخلع عقدها من جيدها ضاحكة)

خذه يا سرحان فلف عليه ذراعك إن شئت .

سرحان : (يأخذ العقد فيلفه على ذراعه)

هذى جبات الرمل على زندي برد وسلام .
ولكن أين الدفاء الشهى الذى
يتنسم من جوف البطحاء
لن يصدق تشبيهى حتى يلتف ذراعى
على هذا العقد فى جيدك .

نعامة : كيف يصدق تشبيئك ؟

سرحان : (يطوق جيدها بذراعها) هكذا .

نعامة : غنى يا سرحان . ألا يا صبا نجد ا

أغنيتك البدوية هذى تعجبينسى .

سرحان : أخشى أن أوقظ مولاي إبراهيم .

نعامة : صدقت ولكن نسنس بها واخفض صوتك .

(تضع البن والهيل فى الإبريق وتصب عليه الماء المغلى
وتملاً كوبين تقدم أحدهما لسرحان .

سرحان : سمعا يا حياة الفؤاد .

(يشرب القهوة ويبدأ فى الدندنة ثم يغنى)

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد

لقد زادنى مرآك وجددا على وجد

أن هتفت ورقاء فى رونق الضحى

على فنن غض النبات من الرند

بكيت كما بيكى الوليد ولم تكن

صبورا وأبديت الذى لم تكن تبدى

وقد زعموا أن الحب إذا دنسا
يمل وأن التأى يشفى من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنسا
على أن قرب الدار خير من البعد
على أن قرب الدار ليس بنافع
إذا كان من عهواه ليس بذي ود

نعامة : ما أشجى صوتك يا سرحان !

عن أيضا : قفا ودعا نجدا .

سرحان : قبليني أولا يا نعم .

نعامة : خذ ما شئت يا سرحان .

سرحان : (يقبلها ثم يغنى)

قفا ودعا نجدا ومن حل بالحمى
وقولا لنجد عندنا أن يودعا
بنفسى تلك الأرض ما أطيب الربا
وما أحسن المصطاف والمترعا
وليست عشيات الحمى برواجع
عليك ولكن خل عينيك تدمعا
ولما رأيت البشر أعرض دوننا
وحالت بنات الشوق يهيمن نزعا
بكت عيني اليسرى فلما زجرتها
عن الجهل بعد الحلم أمبلتا معا
(الوطن الأكبر)

تلفت نحو الحمى حتى وجدتنسى
وجعت من الإصغاء قليلا وأخذعا
وأذكر أيام الحمى ثم أنثنسى
على كبدي من خشية أن تصدعا
(تملأ نعامة كوب سرحان ثانية وتضع فيه المرقد خلصة
وتذوبه فيه ثم تقدمه إليه ويشربه سرحان بينما هو يغنى
فيلعب به النعاس ويضمحل صوته شيئا فشيئا حتى
لا يقوى على القعود فتسندده نعامة ثم تيممه على حجرها
وينقطع الغناء من فيه) .

نعامة : ها هو الآن نام حبيبي الشجاع .

قومي يا نعامة قومي لثأر أبيك .

(تحركه) سرحان . سرحان .

(لا يجيب) يا له من سبات عميق

قومي يا نعامة قومي لثأر أبيك .

زيد : (يرقب من فوق السور)

نام الملعون . سأقتله الليلة .

نعامة : (تضع رأسه على وسادة بجانبها وتنهض . تلفت يمينا

وشمالا) .

كيف أقتل إبراهيم ؟ أقتله وهو منقذ قومي العرب ؟

يا للجرم الأكبر ! يا للجرم الأبدي !

وحبيبي سرحان ، هذا الشفيق الجميل ألا

أصغى لشفاعته في مولاه عندي ؟
هو يهواني حقا .. هو يحسبني أهواه .
أجل أهواه ، ولا أهوى مخلوقا سواه .
فكيف أخون حبيبي في أغلى شيء عنده ؟
طلما قال لي إنه سوف يبنى لي حين يعتق
إبراهيم بلاد العروبة من سلطان الدخيل .
أفأقتله من أجل أب قد طواه الثرى
واستحال عظاما رميما ؟
(يبدو لها شبح أبيها) .
ماذا قبلي . من هذا ؟ هذا أبي . كيف قام
من القبر ؟ لا يا أبي لا تخفني بوجهك هذا الهزيل ،
وشعرك ذا الأرجواني يقطر منه الدم .
زيد : (من على السور) لا أرى أحدا معها .. من تخاطبه
يا ترى ؟
الشيخ : أتخاف ابنتي مني ؟ ويلي ! أنت سببت لي
هذا يا إبراهيم .
إياك نعامة أن تنسى ثأري .
(يكشف عن صدره) انظري الطعنة في صدري .
ههنا طعنوني هنا .
مزقوا مني الأحشاء فسالت تدلي على ساقى .
ولحقتي انظري : ههنا ذبحوني . هنا قطعوا

- منى الأوداج . فأنشأ يخفق رأسى على كفى .
- نعامة : يا لهول المنظر ! يا لفظاعته !
- الشيخ : هيا أعدى الخنجر ، هيا امشى للقاتل ، هيا اتبعينى .
- نعامة : (تلتفت إلى سرحان)
- وداعا يا سرحان إلى أبد الآبدين !
- (تسل خنجرها ويتقدم الشيخ فتبعه حتى يتواريا عن الأنظار) .
- (يتسلق زيد السور ويقفز إلى الداخل) .
- زيد : (يتقدم إلى جهة سرحان)
- هذا والله جميل . نعامة تقتل إبراهيم وزيد يقتل سرحان .
- (يسلم خنجره) هل أطعنه بالخنجر ؟ لا . ربما يصحو فيطوقنى بيديه . ولكن سأطعنه بالرحم ، ليعصمنى منه طوله .
- نعامة : (تبدو من شباك فى الدهليز الموصل إلى مرقد إبراهيم تسمع الحركة فتطل فترى زيدا يحاول قتل سرحان)
- سرحان انتبه سرحان .
- (لزيد) تبا لك . تقتله نائما يا جبان ؟
- (يغمد زيد خنجره ويقبض على رمح يمينه ويهم بطعن سرحان) .
- نعامة : سرحان ، انتبه سرحان .

(يرقاع زيد فتصيب طعنته يد سرحان اليسرى فيهب كالأسد) .

سرحان : ويل لك ! من أنت يا هذا ؟

زيد : (يسدد الرمح إليه ليطعنه في صدره)

خذها يا تعيس الحظ .

سرحان : (يميل عن الطعنة ويهجم بخنجره على زيد فيلقيه على الأرض صريعا)

بل خذ هذه يا قصير العمر .

(يظهر إبراهيم وراء نعامة في الشباك) .

إبراهيم : ماذا تصنعين هنا يا فتاة ؟

نعامة : (تلتفت) ما أنت غريمي جئت فذق هذا الخنجر المسموم .

(تهجم عليه بخنجرها فيتلقى الطعنة بالقبض على يدها) .

إبراهيم : ويل لك من أنت ؟ كيف أتيت هنا ؟

(يجرها إبراهيم معه إلى الرواق) .

ما هذا يا سرحان ؟

كيف جاءت هذه الفتاة إلى مخدعي

كي تقتلني ؟ أين يا حارسي كنت ؟

سرحان : يا ويل أبي ! ما أرى ؟ أنعامه هذي ؟

أتنوى نعامة هذا الجرم العظيم ؟

- أجنتت نعامة ؟ كيف جرؤت على هذا ؟
- إبراهيم : (ينظر إلى زيد)
من هذا الفتى المطعون ؟
- سرحان : لا أعرف من هو يا مولاي . لقد جاء يقصد قتلى
زيد : أنا زيد من أنصارك يا مولاي . أتيت
لأحبط هذا التآمر من سرحان وهذي الفتاة
عليك ليغتالاك ، فحاميت عنك
فعاجلنى الملعون بخنجره فهويت صريعا ،
ولكنى سأموت سعيدا لأنك حى بعد .
- سرحان : (يهيم بضربه) ويل لك يا أكذب الجبناء .
إبراهيم : لا تمسه يا سرحان .
زيد : إنه يروم قتلى ليخفى هذا السر عليك .
إبراهيم : ما قولك يا سرحان ؟
- سرحان : لا أحسب مولاي إبراهيم يصدق شيئا من هذا .
إبراهيم : بين لى إذن . من هذه الفتاة وكيف أذنت
لها أن تصير إلى مخدعى والخنجر فى يدها .
- سرحان : هى جارية كنت أهواها . لم يجز على
بالى أنها ستحاول يوما هذا الجرم الكبير .
- إبراهيم : أتخذت مكانى ميدانا لحماقاتك ؟
سرحان : أنا معترف بالخطيئة يا مولاي
فأوقع لى من عقابك ما أستحق .

- آه لو علمت أمي بحماقتي .
- نعامة : لا تعاتبه مولاي فهو برىء وإني أنا المذنبه .
أنا جئت إليه فأوقعته في هواي .
لأنفذ منه إليك فأدرك . ثأر أبي منك .
- إبراهيم : مني أنا يا هذى ؟ من يكون أبوك ؟
نعامة : فهد النعسان .
- إبراهيم : (يلتفت إلى سرحان)
فهد النعسان . أتأتى ابنته عندي .
- نعامة : كان لا يدري أني ابنة فهد يا مولاي .
- زيد : لا تصدقها إنها تهواه وتبغسى تبرئته
- نعامة : اسكت يا وغد .
- زيد : ويل لك يا فاجرة .
- (يقفز من على السور ثلاثة من رجال تامر ويهجمون
على إبراهيم ويحيطون به) .
- إبراهيم : ويلكم . ما جاء بكم ؟
أحد الثلاثة : أجلك .
- سرحان : (يهجم عليه فيصرعه على الأرض)
بل آجالكم حانت .
(تتعلق نعامة بعنق الثاني)
- الثاني : خلى عنى يا لكاع
(يهوى الثالث بسيفه على إبراهيم فيحيص عنه إبراهيم)

بأعجوبة ويلكمه على وجهه بجمع يده فيخر صريعا ،
ويذهب ناحية زيد ليأخذ حربته ، فإذا زيد يحاول
طعنه ، فيركله إبراهيم برجله فيقضى عليه ويأخذ منه
حربته فيطعن الصريع)

سرحان : (يتزوع سلاح خصمه ويضربه به)

خذه من يد عزرائيل .

(يدلف هو وإبراهيم للذي تعلقت به نعامة) .

إبراهيم : دعه لا تقتله يا سرحان سنعلم ما أمره .

(يحل عمامته ويكتفه بها ويرمى به على الأرض)

بارك الله فيك وفي حسنائك يا سرحان !

سرحان : نحن خدامك الدهر يا مولانا العظيم .

نعامة : حمد لله الذي نجاك ونجى بك

مولاي ، لقد أمسيت أحب الناس إلى

قلبي ، واحتسبت حياة أبي في سبيل حياة العرب .

طالما كان سرحان يذكر لي آمالك في

توحيد العرب ، وإحياء سؤدها العاقى

حتى كاد ينهض أن شيخى من قتلاك

ولولا أن أخى قد توعدنى بالموت

إذا لم أنفذ مشيئته ما بسطت إليك

يدى لاغتيالك .

إبراهيم : اصدقيني : أتر جئت قط هنا قبل الليلة ؟

- نعامة : قد جئت كثيرا يا مولاي نهارا وليلا .
- إبراهيم : عجباً كيف لم أبصرك ولم أسمع عنك شيئا .
- نعامة : بل كنت ترانى يا مولاي وتعرفنى .
- إبراهيم : (يتفرس في وجهها) نعمان ! صديقك يا سرحان .
- نعامة : (تخلع عنها الحلة فتبدو بملابس الرجل)
- أجل أنا نعمان يا مولاي .
- إبراهيم : (يضحك) ويل لكما ! ما أعجب أمركما عاشقين !
- ما تظنناتنى صانعا بكما ؟
- سرحان : إن تعاقب فعُدل منك ، وإن تعف عنا فأنت لذلك أهل .
- إبراهيم : لا ، بل أعفو عنكما . وأؤمل أن لا يكون اليوم الذى فيه تقترنان بعيدا .
- سرحان : شكرا لك يا مولاي . سنجعله يوم تطرد آخر مقتصب عن آخر شبر من الوطن العربى .
- إبراهيم : مرحى مرحى ! ذاك يوم غير بعيد .

(ستار)

المنظر الخامس

(في سهل قونيا في اليوم الثاني لمعركة قونيا التي انتصر فيها إبراهيم انتصارا حاسما على الأتراك — جانب من المعسكر المصرى ، يظهر فيه على يسار المسرح جانب من خيمة إبراهيم باشا يشتمل على بهو استقبال كبير وغرفة نوم يفصلها عن البهو باب واسع . يظهر سرحان في الزاوية اليمنى من المسرح خارج الخيمة) .

سرحان : أقبلى أقبلى يا نعامة .. وا شوقاه إليك !

(تدخل نعامة فيعانقها)

الآن سنوفى المتى حقها غير منقوص

شيئا .. الآن سنعطى الهوى ما يريد .

هذا يوم نعتق من ذلها أوطان العرب

هذا يوم يرجع من مجدنا ما ذهب

هذا يوم بسام الثنايا . وضىء الشنب

فجره لؤلؤ والضحى فضة والأصيل ذهب .

نعامة : بعض هذى الفرحة يا سرحان . فمن يدري

ماذا تضمير الأقدار لنا في هذا اليوم ؟

- سرحان : ماذا يا نعم ؟ تشاءمين بيوم يزهر بالأمان ؟
نعامة : سرحان ، أما رأيت أخي تامر في المعسكر هذا الصباح ؟
سرحان : ما تخافين منه ؟
نعامة : أخاف أذاء على مولانا إبراهيم
بالغ في حراسة مولاك يا سرحان . ولا
تأخذ عينيك سنة .
سرحان : إلا أن تذوّبي لي مرقدنا يا نعم .
نعامة : لا تمزح يا سرحان . فات أوان المزاح .
سرحان : لكنني استأذنت من مولاي لأجري في
أثر القائد التركي لعلّي أمسكه
فأجىء به مولاي أسيرا .
نعامة : ما شأنك والقائد التركي ؟ أليس حراسة
مولاك أوجب من هذا وأهم ؟
سرحان : إن إبراهيم ليعصمه ربه حتى
يكمل استقلال بلاد العرب .
نعامة : بالله عليك أطمئني يا سرحان .
سرحان : أنى في طاعتك الدهر يا دنياى .
نعامة : فدع عنك أمر القائد وابق هنا .
سرحان : غير هذا اطلبي .. ليس لي أن أرجع عن عزمي .
نعامة : أنا خائفة يا سرحان أيضا عليك .
سرحان : علىّ أنا ؟ ممن ؟ من أخيك ؟ اطمئني على سرحان .
الوداع هيبني يا روحى قبله

- أتزود بها حتى ألقاك .
(يقبلها)
نعامة : يرعاك الله .
سرحان : اللهم آمين . (يخرج) .
نعامة : ما أقوى عزمك يا سرحان ! لقد زادني
عصيانك إياي حبا لك .
(يدخل تامر وخالد متتكرين . تستخفي نعامة)
تامر : لن يفلت مني إبراهيم اليوم .
سأقتله في أوج انتصاره .
خالد : إنه لانتصار عظيم لإبراهيم أدال
به للمعرب من الأتراك وولاهم
في الإدارة والجيش الرتب الكبرى ،
بعد ذاك الغبن الطويل على العهد التركي .
تامر : حق ما تقول ، فلا شك في أن إبراهيم
هو المنقذ المأمول ليخلصنا من ظلم الترك .
ولو أبصرتني أمس إذ كنت أرقب غرة إبراهيم
لأقتله لرأيت عجبا ، حين اندفعت
إلى المعمعان بلا وعي مني كما الليث المهيج ،
أقاتل أعداءنا في صفوف المصريين .
خالد : أجل قد رأيتك أمس كأنك من جند إبراهيم .
تامر : كيف أبصرتني ؟ أين كنت آوانخذ ؟

- نخالد : كنت تخلفك غير بعيد منك . وقد كان منى
ما كان منك ، فلم أملك إذ التحم الجيشان
وأبصرت قلة جيش العرب وكثرة أعدائهم أن خضت
الوغي في صفوف المصريين ،
فطابت نفسي حينئذ واطمأنت كأني
كنت أحا ذنب يقظان الضمير فتبت .
- تامر : عجباً ! هذا ما شعرت به أيضاً إذ ذاك
ولكن ما شأن هذا وشأني ؟ لا شأن لي
إلا بأبي . والذي أودى بأبي هو إبراهيم
فلا بد لي أن أثار منه
(يتلفتان حوليهما فتواري نعامة)
أعلى استعداد أنت لتلقى الموت انتقاماً
لعنك فهد يا نخالد ؟
- نخالد : ما سؤالك ذا يا تامر ؟ هل لسوى هذا جئنا ؟
تامر : هيا فلنرصد خيمة إبراهيم إذن . .
فنهاجمه حين يخرج من خلفه وأمامه (يختفيان)
نعامة : (على حدة) ويل لهما عازمان على الفتك به .
يا ليتك يا سرحان بقيت هنا .
سأقول لمولاي إبراهيم ليأخذ حذره . (تخرج)
(يدخل إبراهيم والكولونل سيف إلى بهو الخيمة) .
سيف : سرّ عنك همومك يا مولاي ،

- فسوف تسير الأمور على ما تريد .
- إبراهيم : ما شأن ذئاب المغرب بنا تتداخل فيما
ليس بحق لها من شئون الشرق ؟
ليت شعري متى يأتي يوم يعرفون به
أنهم ليسوا أوصياء علينا ، وأنا لسنا
بأطفال قصر .
- سيف : إنهم أوجسوا منكم خيفة إذ رأوكم
تقيمون هذا الشعب العظيم بعدته ،
والمجيد بتاريخه ، من هوان طال به ،
تحت كلكل هذا الشيخ المريض .
- إبراهيم : الشيخ المريض أحب لهم من شعب فتى
يحيط أطماعهم في الشرق .
آه ليت كتاب أبى لم يصلنى إلا على
باب اسطنبول ، فما دونها من هنا
غير ستة أيام في سهل لا وعرفيه .
- سيف : هبه لَمَّا يأتك يا مولاي .
- إبراهيم : أتدعوني يا سيف لأعصى مولاي الوالى ؟
- سيف : لا وعيشك يا مولاي ، ولكنها فرصة
ربما لا تتاح غدا مثلها لاجتئاب الفرحة
من أصلها حتى لا تعل الجسم الذى
قد شفاه الله بطب يدك .

لن تأمن مصر على نفسها أو على أوطان العروبة ،
ما دام ذلك الصل باسطنبول يرى
أن من حقه أن ينفث في الوطن العربي سمومه .

إبراهيم : وذئاب الغرب ؟

سيف : سيجعلها الأمر المقدور تبصيص للأسد المصرى

بأذنانها حينما يستوى فوق عرش الشيخ المريض .

إبراهيم : لكن كتاب أبى يقتضى أن لا أتقدم

من بعد كوننا هنا قيد شهر ، ولن أفتات

عليه ولو زويت لى أقطار الدنيا .

سيف : ما رأى إذن ؟

إبراهيم : أن تنتظر الرد من سيدى الوالى

فى اقتراح مواصلة الزحف حتى اسطنبول .

سيف : ستضيع عليك الفرصة يا مولاي إذا نجحت

دول الغرب فى دفع الوالى لقبول الصلح .

إبراهيم : لأبى رأى الأعلى ، وله الأمر فى كل حال .

(يدخل إسماعيل باشا)

ما وراءك يا إسماعيل ؟

إسماعيل : لقد طاردت فلول العسدر وشردتهم

فى تخوم الأرض ، فسالت معات منهم على

أطراف الرماح وباد كثير بالأمراض

وطرح بالباقيين عنياها فى أيدي العربان والأكراد .

- إبراهيم : أبلت و غامرت يا ابن أخي .
إسماعيل : منك عم تعلمت هذا الغمار .
إبراهيم : صدقت فنصف النجاح الغمار . وما أدرك المجد
ذو إحجام . وإن الموت لفي يد من إيحاك .
أولم تظفروا برشيد قائدهم ؟
إسماعيل : لا والله يا عم لا ندرى كيف ابتلعت الأرض .
إبراهيم : ستلفظه يا بني لنا يوما .
(ينهض) أشتهى أن أنام قليلا . تعبت من استقبال
وفود التهانى من كل صقع بعيد .
(يدخل الخدع) .
إسماعيل : هل حدثكم عمى عن أمر أبيه بوقف الزحف ؟
سيف : نعم يا سمو الأمير .
إسماعيل : وما عزمه ؟
سيف : أن يطيع أباه .
إسماعيل : عزيز والله هذا علينا وما دون اسطنبول
سوى أيام معدودة .
سيف : ربما كان فى هذا يا أميرى خير .
إسماعيل : آه لو تدرى كم تشتاق نفسى إلى فتح اسطنبول .
سيف : كل شيء رهين بأوانه يا سمو الأمير .
(يدخل الحاجب) .
الحاجب : بالباب فتى يتظلم من أحد الجنود .

يرجو مقابلة الباشا .

إسماعيل : دعه يرجع بعد قليل فالباشا الآن نائم .

سيف : بل أشعره الآن يا مولاي فقد أمر الباشا

أن لا تتأخر في رفع أى شكوى إليه

في أى حين .

إسماعيل : ولو كان في نومه يا سيف .

سيف : ولو كان في نومه .

إسماعيل : (ينهض) حسنا ! سأنبهه .

(يقرع الباب قرعا لطيفا) .

صوت إبراهيم : من هذا ؟

إسماعيل : إسماعيل .

صوت إبراهيم : ادخل يا بنى .

(يدخل إسماعيل الغرفة)

(ثم يخرج إبراهيم وإسماعيل)

إبراهيم : ادخل بالفتى يا غلام .

الحاجب : سمعا مولاي ! (يخرج) .

(يعود الحاجب ومعه الفتى) .

إبراهيم : ممن تتظلم يا عبد الله .

الفتى : مولاي . من جندى مدين لى بمجيدين .

أتيت أطلبه فاعتدى بالضرب علىّ .

إبراهيم : ما اسمه ؟

- الفتى : لا أعرف يا مولاي .
إبراهيم : أتعرف موضعه في المعسكر ؟
الفتى : أعرف يا مولاي .
إبراهيم : هلم إذن أرنيه .
- واحر قوادى من هؤلاء الجنود !
ألم تعلموا بعد أنا ما جئنا فاتحين
لهذى البلاد ولكننا جئنا منقذين ؟
(لإسماعيل وسيف)
اذهبا فانخطبا في جموع الجيش بأن
يلزموا الاستقامة والحسنى في هذى البلاد .
فعار بنا أن نكون كمن أجليناهم
عنها بالسيوف من القوم الظالمين .
إسماعيل وسيف : سمعا مولاي (يخرجان) .
إبراهيم : هيا يا فتى أرني الجندى .
(يخرج هو والفتى إلى خارج الخيمة)
امش قدامى .
(ما يكاد إبراهيم يمشى حتى يظهر خالد من قدامه وتامر
من خلفه)
ويل لك ما تبغى يا ابن الفاعلة ؟
(يرم خالد بطعن إبراهيم فيسبقه إبراهيم ويدفعه في
صدره دفعة ألقته على الأرض بعيدا وجاء تامر من خلفه

ليطعنه فتعلق به فارس وتشبث بعنقه واصطرعا فوقعا
على الأرض) .

الفارس : تبا يا تامر تقتل بنت أبيك وأمك ؟

تامر : أختى . ويل لك أنقذته من يدي يا لكاع .

الفارس : بل أنقذت من يمينك الأثيمة مولى العرب .

(يقبض الحرس والجند على تامر وخالد) .

إبراهيم : نعمان . نعامة . يا ويحها . فيم ألقيت في

هذا بيدك ؟

نعامة : مولاي . وهبت الحياة لهدى الفتاة

فردت إليك الهبة .

وهبت الحياة لشعب الضاد المجيد

وإن الله سيجزيك عنه حياة الأبد .

إبراهيم : احملوها إلى غرفتي وهلموا الطبيب سريعا .

(تحمل نعامة إلى غرفة إبراهيم)

(يدخل الطبيب)

بحياتي عليك طبيبي عالج هدى الفتاة

كما لو كنت تعالجنى .

الطبيب : سمعا مولاي عسى ربي أن يوفقني لرضاك

إبراهيم : جعل الله في كفيك الشفاء

(يمضي الطبيب إلى الغرفة)

(يدخل سرحان ومعه القائد التركي رشيد باشا أسيرا)

- سرحان : ها جئتك يا مولاي بقائد جيش العدو الطريد .
إبراهيم : بارك الله فيك !
سرحان : قد تنكر في ثوب فلاح فدللت عليه .
إبراهيم : بارك الله فيك .
سرحان : (يلحظ تمعر وجه إبراهيم وسهومه)
ما بالك يا مولاي ؟ أيشكو من ألم مولاي ؟
إبراهيم : لا . وعوفيت يا سرحان !
سرحان : (ينظر في وجوه الحاضرين)
ما لكم هكذا واجمون ؟
إبراهيم : تجلد يا سرحان .
سرحان : نعامة . ماذا حل بها ؟ هل جاء أخوها الوغد ؟
فهمت الأمر فهمت . لقد أنذرتني ولكني
لم أصغ لإنذارها . ويل أمي وويل أبي !
يا طول شقائك يا سرحان !
(ينظر إلى إبراهيم)
لكنك يا مولاي سلمت والله الحمد
من كيد المغتال الأثيم قدمت لمجد العرب .
إبراهيم : (يأخذ بيده ويجلسه إلى جانبه)
تجلد يا سرحان .
(يدفن سرحان وجهه في حجر إبراهيم ويكي بكاء
الطفل) .

- سرحان : (يرفع رأسه) بعض هذى الفرحة يا سرحان فمن يدري
ماذا تضر الأقدار لنا في هذا اليوم ؟
لقد قالت لي هذا يا مولاي صباح اليوم .
(يضع رأسه في حجر إبراهيم ثانيا)
- إبراهيم : (يضرب على ظهره) صبرا يا بني فليس عليها من بأس إن
شاء الله .
- سرحان : (يرفع رأسه) بحياتك قل لي أماتت يا مولاي ؟
أماتت نعامة ؟
- إبراهيم : لا .. لم تمت . الطيب يعالجها ثم في غرفتي . .
(ينهض سرحان إلى جهة الغرفة)
- سرحان : رباہ اشفها رباہ .
(يقف على باب الغرفة ليدخل)
- الحاجب : الدخول هنا ممنوع يا سيدى .
- سرحان : ممنوع علىّ أنا ؟ قل لي يا صديقي أهى بخير ؟
(يجيء إبراهيم إلى الباب) .
ألا تستأذن لي في الدخول جناب الطيب .
- إبراهيم : مكانك يا سرحان سأسأله إن أذن لك .
(يقرع الباب قرعا خفيفا فيظهر الطيب)
كيف حال الجريحة ؟
- الطيب : مغنى عليها يا مولاي .
- إبراهيم : ما بها ؟
- (الوطن الأكبر)

- الطبيب : انسداد في الشريان الكبير .
إبراهيم : أيمن هذا الفتى أن يراها ؟
الطبيب : لا يا مولاي . ليس الآن .
إبراهيم : (يأخذ بيد سرحان إلى البهو)
هلم معي الآن . عما قريب سيأذن لك .
سرحان : ويلي . ستموت . أريد أن أراها قبل الموت .
إبراهيم : سترها يا سرحان بخير .
سرحان : (يغير لهجته) أين يا مولاي أخوها الوغد ؟
إبراهيم : هنالك في القيد يا سرحان .
سرحان : ألم تقتلوه ؟ ألم تطعنوه ؟ ألم تجرحوه ؟
أبقى سليما معافى وهي تموت ؟
أروني إياه . أين هو الوغد ؟
إبراهيم : (يشير إلى تامر في الركن)
ها هو ذا ..
سرحان : أهو هذا الوغد . عليك اللعنة يا قاتلا
أخته يا جبان . دعوني أقتل هذا الأثيم .
إبراهيم : لا تعجل يا سرحان سنفصل في أمره .
تامر : اقتلني سرحان إن شئت فهو أحب إلى
نفسي من هذا القيد المذل .
سرحان : كلا ، لا أقتله في القيد فأجني عار الأبد .
أنت قاتله لا محالة يا مولاي فأشددك الله
إلا ما أطلقت الأثيم فبارزني بالسيف .
فإن أقتله أخذت بثأري منه

وأوردته ما استحق ، وإن تكن الأخرى
فسيكفينى غصص العيش بعد نعامة ،
ولمولاى من بعد ذلك فى أمره ما يشاء .

إبراهيم : ما يدريك أنى لا أعفو عنه يا سرحان

كعفوى عن أخته من قبل ؟

سرحان : تعفو عن قاتلها ؟ كيف يا مولاي ؟

إبراهيم : أأعفو عن قاتلى ثم لا أعفو عن قاتلها ؟

أهى أكرم منى يا سرحان ؟

سرحان : معاذ الله ، لأنت أعز وأعظم قدرا ،

لكن لك أنزل عن حقى إن أنت نزلت

له عن حقلك يا مولاي . وعدلك بأبى .

أن يعفى عن ذاك المسىء ويظلم هذا البرىء .

فدعنى أقتله أو يقتلنى .

إبراهيم : إننا بعد فى حاجة لبلائك يا سرحان .

أما كنت فى شوق لليوم السعيد الذى

يتحقق فيه خلاص بلاد العرب ؟

سرحان : بلى مولاي .

إبراهيم : ها نحن أولاء نشارف ذاك اليوم السعيد .

سرحان : أجل ، سأموت قرير العين بتحقيق مولاي

ذاك الرجاء ، وفى هذا ما يعزىنى وكفى .

إبراهيم : نفسى لا تطوع لى أن أفقد قوة مثلك يا سرحان .

- سرحان : ستجود العرب بأرواحها في سبيلك يا
مولاي . وفيها أي غنى لك عن مثلي .
- إبراهيم : كلا . لا أستغني عن أصغر رجل
في الجيش . وأنت وسائر أفراد الجيش ملك
لمصر وللوطن العربي الأكبر لا ملكي .
كيف أنزل عما ليس بحق لي ؟
(يدخل حسين عبد الهادي والأمير بشير ومصطفى
أغا بربر)
- حسين ع . : السلام على مولانا الأمير .
إبراهيم : وعليكم سلام الله .
(يضافهم) أهلا عبد الهادي . أهلا بالأمير بشير .
أهلا بأغا بربر .
(يشيرهم بالعود) استريحوا يا خيرة الأصدقاء .
- بشير : لسنا ندرى أنهىء مولانا بالنصر الباهر ،
أم بالسلامة من كيد المقتال الأثيم ؟
- حسين ع . : بل نهته بكل الأمرين وباستقلال العرب .
مصطفى بربر : بل نهىء أنفسنا بسلامة أوطاننا
في سلامة منقذها الأكبر .
- إبراهيم : شكرا لكمو أيها الأصدقاء .
إنما تم ذلك بفضل الله وفضل مساعيكم ،
وبتأييدكم لي فيما مضى من وقائعتنا .

- في دمشق وحمص وبشلان . بورك فيكم !
بشير : إن أزواحننا بله ما تحت أيدينا من أموال
وضياع بين يديك . تصرف فيها كيف تشاء .
إبراهيم : قد أتتني تهاتككم بالنصر . فكانت سلاما
على قلبي ، فعلام تجشمتم بعدها
كل هذى الصعاب لتهنتي ؟
حسين ع . : لم نملك أنفسنا إذ سمعنا بنصرتك في قونيا
أن شددنا إليك الرحال . وجبنا لك الأميال
لنشهد يوما ليس له في حياة العرب
مثيل . وسيبقى على مر الأجيال .
مصطفى بربر : ولكنني آسف أن تهنتي يا مولاي ردت إلي .
إبراهيم : أكانت مكتوبة بلسان الترك ؟
بربر : نعم مولاي .
إبراهيم : أما للعرب لسان نعز به يا بربر
حتى تكتب لي بلسان الترك ؟
بربر : بلى . بيد أن كان هذا الديدن يا مولاي .
أجل كان هذا الديدن في العهد البائد .
(يشير إلى رشيد باشا) كان هذا الديدن في عهد هذا
وأصحابه .
ذاك عهد تولى لغير رجوع يا بربر .
بربر : سامحني يا مولاي فقد غاب عني أن أرعى هذا . .

إبراهيم : قد يعذركم من يعلم كم طال هذا الهوان
عليكم ، تستبدلون الذى هو أدنى بما هو خير
عجبا يستدر الأسى والعطف
على قومي .

كيف يستبدلون الذى هو أدنى بما هو خير ؟
أيعيشون فى حلب ودمشق ومصر وينسوا
لسان المعرى والمتنبى وسيف بنى حمدان ؟
والأعجب من هذا أن يعيش أناس بأمر القرى
والمدينة حيث همى الوحى والإيمان
بخير لسان وينسوا بها لغة القرآن .

(يدخل الطيب) ما وراءك بشرنا ؟

الطيب : زال الخوف عنها يا مولاي . أفاقت .

إبراهيم : لك الحمد يا رباه !

الطيب : وتساءل عن سرحان .

سرحان : أفاقت ؟ وتساءل عنى .. عنى .. رباه اشفها رباه !

الطيب : وتساءل أيضا عن تامر ..

سرحان : عن قاتلها .

تامر : عنى أنا ؟ مسكينة أنت يا أختاه .

(يركب)

سرحان : عنك يا هذا ؟ عن قاتلها .

إبراهيم : عن أخيها يا سرحان .

- سرحان : (للطبيب) أفى وسعى أن أراها الآن ؟
الطبيب : نعم فى وسعكما . لكن لا تطيلا المكث
لديها ولا تزعجاها .
(ينطلق سرحان إلى جهة باب الغرفة ويتبعه تامر
ويتقدمهما الطبيب) .
الطبيب : ادخلا بهدوء .
سرحان : (يلتفت إلى تامر) فيم جئت هنا ؟
تامر : لأراها يا سرحان معك .
سرحان : (يدفعه) ألتقتلها مرة أخرى ؟ لا والله لا تدخل .
تامر : كيف أقتلها؟ أنا فى القيد يا سرحان .
الطبيب : لا تختصما . إن أعصابها لا تحمل هذا الشجار .
تامر : دعنى أر أختى يا سرحان .
سرحان : امش . لا أخت لك .
نعامة : (يسمع صوتها) سرحان . ادخل سرحان . ودع تامرا
يدخل .
سرحان : هذا صوتها . يا رب لك الحمد يا رب .
الطبيب : (يفتح الباب)
ادخلا بهدوء .
(تظهر نعامة مسجاة على سريرها)
سرحان : (يعانقها) يا بشرى . أنت بخير يا دنىاى .
نعامة : يا حبيبى إلى بخير .

- سرحان : لك الحمد . خشيت عليك الموت .
نعامة : لو مت لكان قليلا لإبراهيم .
سرحان : ولكن كان يكون كثيرا على سرحان .
نعامة : (تلتفت إلى تامر) وعلى تامر أيضا . أقبل يا تامر أقبل إلى .
تامر : (يتقدم إليها) نعامة أختي .
نعامة : تعال فعانقني .
(ينحني عليها فيقبلها على جبينها)
تامر : أختي .. أختي .
نعامة : ماذا في يدك . القيد ؟ كثير هذا على تامر .
أين مولاي إبراهيم . ألا يأتي لأراه ؟
سرحان : (ينهض) سأدعوه يا دنياى .
نعامة : لكن تستأهل أكثر من هذا . كيف تقتل
منقذ قومك يا تامر ؟
تامر : ساحيني يا أختي . قد ندمت على ما فعلت .
سرحان : (لإبراهيم فى الجو)
مولاي . نعامة تدعوك .
إبراهيم : (ينهض إلى الغرفة)
تدعوني . لبيك نعامة . لبيك !
حييت نعامة ، أنت بخير .
نعامة : فى ظل عطفك يا مولاي .. ألا تعفو عن أختي تامر ؟
إبراهيم : قد عزمت على أن أعفو عنه .

- نعامة : أظال الله بقاءك يا مولاي .
- إبراهيم : ولكن سرحان لم يرضه مني .
- نعامة : فيم يا سرحان ؟ أنت شديد الوجد على تامر ؟
- سرحان : كيف لا وهو يقصد مولاي إبراهيم بسوء .
- وقد كاد يودي بك ؟
- نعامة : إنه تاب يا سرحان . ألسنت ترى دمه
- يتحادر من عينيه ؟
- سرحان : بل جبان يخاف الحكم عليه بما اجترحته يده .
- نعامة : كلا يا حبيبي . إن ابن فهد ليس بمن
- يتهب وجه الموت .
- سرحان : لقد شئتته أن يبارزني بالسيف فإما
- أقتله أو يقتلني .
- تامر : مولاي . احلل قيدي ليارزني سرحان .
- نعامة : تبا لك يا سرحان . علام أعيش إذن
- إن أنت قتلت ؟ وإن تقتله تكن فاجعي
- في ابن أمي وابن أبي .
- ما تحب نعامة يا سرحان ؟
- سرحان : بلي يا نور العين .
- نعامة : علام إذن تعصى أمرى ؟
- سرحان : لن أعصى أمرك يا دنياي .
- إبراهيم : حل يا سرحان وثاق أخيك فإنكما

- أخوان . وسوف تكونان صهرين عما قريب .
- سرحان : سمعا مولاي . (يحمل وثاق تامر)
- إبراهيم : وأنت فصافحه يا تامر .
- تامر : سمعا يا أعفى الناس وأكرمهم .
- (يمد يده إلى سرحان فيتصافحان)
- شكرا يا معز العرب ومنقذهم . والله لأفتدينك
ويفتدينك بنو النعمان جميعا معي .
ونكونن جندا نقاتل تحت لوائك من
قاتلت ، وأنى شئت إلى أن نذوق الموت .
- إبراهيم : بارك الله فيك .
- (يلتفت إلى نعامة)
- نعامة ما يبكيك ؟
- نعامة : سرورى يا مولاي .
- إبراهيم : استريحى الآن .. شفاك الله .
- نعامة : حماك الله . (يعود إبراهيم إلى البهو) .
- تامر : سأراك بخير يا أختاه
- نعامة : أختى كن أمينا لإبراهيم .
- تامر : تقى يا نعامة بى . (يخرج إلى البهو)
- (يبقى سرحان بجانب نعامة يتناجيان)
- إبراهيم : (للقائد التركى الأسير)
عفوا يا رشيد شغلنا عنك

(يحل قيده بيده)

إبراهيم : هلم زميلي القديم

(يجلسه إلى جانبه)

أتذكر أيامنا في ميادين اليونان ؟

رشيد : نعم مولاي .

إبراهيم : أذكرها سلطانك أيضا ؟

رشيد : ومن ينساها وينسى بلاءك فيها وإقدامك ؟

إبراهيم : بل نسيت جميل أبنى . ونفست عليه الفخار

الذى حلاكم به .

أنا سيف أبنى ؟ سلتى مرتين لإنقاذكم

وإغاثتكم في نجد وفي اليونان . على

أن يجزيه السلطان ولاية سوريا

فانظروا ما كان جزاء أبنى إذ طالبه

بالوعد .. أن يصدر فتواه بتكفيره

وبتفكيرى . وبإعدامه وبإعدامى ؟

ويله . هل يحسبنا خلقه يتصرف فينا

هذا الرب الصغير .

رشيد : بعض وجدك يا مولاي عليه . فما قصده .

إلا أن يجمع من شمل المسلمين .

إبراهيم : هذا والله جميل . لكى يجمع المسلمين

استنجد بالقوم الكافرين على القوم المسلمين ؟

فلينعم خليفتك بالا ، أن أعداء الإسلام
سيحمونه من سطوة أنصار الإسلام .

رشيد : إنه ينبغي الصلح يا مولاي لحقن الدماء .

إبراهيم : أبعد ألوف الجنود التي أفتيناها منكم
هلا كان ذلك منه وفيكم دماء تخفن بعد ؟

رشيد : لم تبتد بعد قوات السلطان ، وفي وسعه ،
لو شاء ، وصال الحرب .

إبراهيم : فهلا استتجد من يحميه من الكفار إذن ؟

رشيد : إن يكن هذا فلكني تقبلوا الصلح يا مولاي .

إبراهيم : أتخيفوننا من ذلك الغرب ؟ ألا فاعلموا

أننا لا نخاف أساطيلهم في البحر ، ولا

جندهم في البر ، وقد علمناهم في اليونان

كيف يقاتل أبناء وادي النيل ،

بأنى قد وقفت الزحف نزولا على أمر سيدى الوالد

فارجع حرا لبلادك كى تخير السلطان

بأن الصلح سيعقد ما بيننا ، وسرعاه ما رعاه . .

فإن ينقض عهده فجنودى بالمرصاد

ولن يقف الزحف حينئذ دون اسطنبول .

إسماعيل : أجل ، لن يمنعها منا حلفاؤكم الكافرون .

اعلموا أننا لم نكن في يوم من الأيام

بأقوى منا اليوم . وقد هبت أوطان العروبة

قاطبة تحت العلم المصرى ، تسير

إلى حيث يدعوها ماضيها المجيد .

: ها أنت رأيت بعينيك الروح العربية

كيف سرت فى البلاد . أتبعون أن تطفئوا

جذوة أوقدتها يمين الله .

يا بنى قحطان ، أترضون أن ترجعوا للذل ؟

حسين ع . : معاذ الله .

مصطفى بربر : معاذ الله .

تامر : معاذ الله . لأطيب من ذاك يا مولاي الموت .

بشير : إنا قد خلعنا ذاك النير بكفك يا ابن محمد ،

أفنحمله فوق أعناقنا مرة أخرى ؟

دون هذا وتهد أسوار اسطنبول .

: اطرودوا من رؤوسكمو فكرة استعباد بلاد العرب

لقد أعتقها الرحمن فلن يستعبدها

أجنى بعد اليوم .

الكولونيل سيف : هذا حلم نابليون تحقق يا مولاي .

إبراهيم : لا بل حلم إبراهيم وحلم العرب .

رشيد : قد لا يتحقق هذا الحلم غدا ، فغد

بيد الله يا مولاي .

إبراهيم : لا أجهل أن غدا بيد الله يا هذا ،

بيد أن الله قد بعث الروح العربية
من رسمها ، فهي باقية لن تموت .
وإذا لم يتم على عهدى ما أردت لها
من وحدتها العظمى . فلسوف يحققها
بعدي .. واحد من أحفادي ..

(ستار الختام)

مؤلفات الأستاذ علي أحمد باكثير

(١) أختاتون ونفرتيني	(٢) سلامة القس	(٣) والإسلاماه
(٤) قصر المودج	(٥) الفرعون الموعود	(٦) شيلوك الجديد
(٧) عودة الفردوس	(٨) روميو وجوليت	(٩) سر الحاكم بأمر الله
(١٠) ليلة النهر	(١١) السلسلة والغفران	(١٢) الثائر الأحمر
(١٣) الدكتور حازم	(١٤) أبو دلالة	(١٥) مسمار جحا
(١٦) مسرح السيامة	(١٧) مأساة أوديب	(١٨) سر شهر زاد
(١٩) سيرة شجاع	(٢٠) شعب الله المختار	(٢١) إمبراطورية في المزد
(٢٢) الدنيا فوضى	(٢٣) أوزوريس	(٢٤) دار ابن لقمان
(٢٥) قطط وفيران	(٢٦) إله إسرائيل	(٢٧) هاروت وماروت
(٢٨) الزعيم الأوحده	(٢٩) جلفندان هاتم	(٣٠) التوراة الضائعة

الملحمة الإسلامية الكبرى « عمر » :

(١) على أسوار دمشق	(٢) معركة الجسر	(٣) كسرى وقيصر
(٤) أبطال اليرموك	(٥) تراب من أرض فارس	(٦) رسم
(٧) أبطال القادسية	(٨) مقاليد بيت المقدس	(٩) صلاة في الإيوان
(١٠) مكيدة من هرقل	(١١) عمر وحالد	(١٢) سر المقوقس
(١٣) عام الرمادة	(١٤) حديث الهرمزان	(١٥) شطا وأرمانوسة
(١٦) الولاة والرعية	(١٧) فتح الفتوح	(١٨) القوى الأمين
(١٩) غروب الشمس		

رقم الإيداع ١٩٩٠ / ٨٨٣٠
I. S. B. N. 977 - 11 - 0627 - 9



الثنى ١٥٠ قرشا

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

To: www.al-mostafa.com